

المبحث الأول

الإمام الأول أبو بكر الصديق من النبوة إلى الخلافة

● حركة الردة

تشير خلافة أبي بكر الصديق لخلافات عميقة بين أهل السنة والشيعنة الإمامية. ومن المفيد لدراستنا هذه أن نقف على الظروف السياسية التي سادت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وآله وتفاقت بُعَيْد وفاته .

وعنوان تلك الظروف هو - أساساً - حركة الردة ، وقد شهدت السنة الأخيرة من حياة النبي ﷺ - وهى السنة العاشرة للهجرة - ظهور مُسيلمة بن حبيب الكذاب فى بلاد اليمامة وادعاءه النبوة وقد أخذ يهذى بكلام مسجوع ادعى أنه قد أُوحى إليه ، وكتب رسالة إلى النبي يخبره فيها أن الله قد أشركه معه فى النبوة ! (١) .

ووثب الأسود العنسى باليمن . ووثب طليحة فى بلاد أسد . وادّعت النبوة امرأة تدعى سُجاح بنت الحارث فى بنى تغلب . (٢) وفى عُمان ادعى النبوة رجل يدعى « ذا التاج لقيط بن مالك الأزدي » . وارتد كثير من قومه وتابعوه ، وهاجموا عاملى النبي وطردهما إلى الجبال !

وتصور أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ذلك الانهيار الخفيف - وهى أقرب ما تكون من مصادر الأخبار - فتقول : « لما تُوفى رسولُ الله ﷺ ارتدت العرب ، وشرأبت اليهودية والنصرانية . ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٠ هـ ؛ الذهبى ؛ العبر ؛ ج ١ ص ١٠ .

(٢) نفسه ؛ أخبار سنة ١٠ هـ

الليلة الشتائية لفقد بيبيهم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر . وَهَمَّ أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ بِالرَّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَرَادُوا ذَلِكَ حَتَّى خَافَهُمْ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ - وَالْيَ مَكَّةَ - فِتْوَارَى ! لَكِنْ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَامَ فِي وَجُوهِهِمْ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تُوْفِي ، لَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْإِسْلَامَ إِلَّا قُوَّةً .

● يوم السقيفة

ونشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار بُعِيدَ وفاة النبي ﷺ ، فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ لِاخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ . وَلَمْ يُذَكَّرْ شَيْءٌ عَنِ خِلَافِ بَيْنِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ ظَهَرَتِ الْفِرْقُ بَعْدُ ، لَا شَيْعَةَ وَلَا سَنَةَ وَلَا غَيْرَهُمَا .

وكان زعماء الأنصار هم الذين بادروا إلى عقد ذلك الاجتماع ، ثم التفوا حول «سعد بن عباد» الذي كان مريضاً لا يقدر على رفع صوته ، وتولى أحدهم تبليغ ما يقول للحاضرين .

قال سعد رضي الله عنه : «يا معشر الأنصار ! إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب . إن محمداً عليه السلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخالع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقصدون على أن يمنعوا^(١) رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموا (ابتلوا) به حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه . فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة^(٢) صاغراً داخراً ، حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير العين . استبدوا بهذا الأمر (أى تمسكوا به) فإنه لكم دون الناس!»^(٣) .

(١) يعنى : يحموه .

(٢) يعنى : يخضعون الناس له .

(٣) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١-٣ / ٢١٨ .

بهذه العبارات الحماسية المؤثرة استأثر سعد بمشاعر الأنصار وكانوا على وشك أن يبايعوه .

وطار خبر الاجتماع إلى المهاجرين نقله عويم بن ساعدة ومعن بن عدي إلى أبي بكر وأعلماه بما يجري في سقيفة بنى ساعدة . فأسرع أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح إلى اللحاق بالاجتماع . وتكلم أبو بكر فقال : «أما بعد يا معشر الأنصار ! فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا أنتم له أهل . وإن العرب لا تعرف هذا الأمر - يعني رئاسة الأمة - إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب داراً ونسباً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم» . وأخذ بيد عمر من جهة وبيد أبي عبيدة من جهة أخرى .

وكان أبو بكر قد علم كما عَلِمَ المقات من الصحابة بقول النبي ﷺ : «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»^(١) . وازدحمت السقيفة بالناس من المهاجرين والأنصار للمشاركة في ذلك الشأن العظيم ونيل شرف شهرده .

ويقول عمر بن الخطاب : «فارتفعت الأصوات ، وكثر اللغط . فلما أشفقتُ الاختلاف ، قلت لأبي بكر : ابسط يدك أبايعك ! قبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون والأنصار»^(٢)

ومن الجلي أن كلمات أبي بكر كانت مقنعة للحاضرين من المهاجرين والأنصار، وإلا لما أقبلوا على البيعة له . وقد استند إلى حقيقة مهمة وهي أن العرب لا ترضى بأن يترأسها أحد من غير قريش ، كما استند إلى الحديث السابق القائل إن إمامة الأمة يجب أن تظل في قريش ، والحديث الآخر القائل : «الناس تبع لقريش»^(٣) .

وقام الحباب بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه ، فذكّر المجتمعين بمكانته

(١) أخرجه مسلم ؛ باب الخلافة في قريش ؛ ج ١٢ من ٢٠٠ .

(٢) تاريخ الطبري ، أحداث سنة ١١ هـ - ٢٠٦/٣ ، الفتح الرباني - مبايعة أبي بكر - رقم ١٣٥ - ج ٢٣ ص ٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج ١٢ ص ١٩٩ .

وشرفه فى قومه ثم قال: «يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدرُ الناس إلا عن رأيكم! أنتم أهل العزة والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجده! وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون! ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم... فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمننا أمير ومنهم أمير!»

وسارع عمر إلى الرد عليه فقال: «هيهات! لا يجتمع اثنان فى قرن (أى أنه لا يصلح نظام الأميرين) والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم! ولكن العرب لا تمتنع أن تؤلى أمرها من كانت النبوة فيهم، وولى أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين!» ثم تساءل عمر مستنكراً: «من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدلٍ بباطل أو متجانفٍ لإثمٍ ومتورطٍ فى هلكة؟!»

ويستند عمر هنا إلى المبدأ نفسه الذى استند إليه الصديق وهو: قبول الأمة ورضائها بمن يحكمها، وهو بدهية سياسية لا يمكن إغفالها.

لكن «الخباب» عاد إلى الجدال مع التهديد والوعيد فقال: «يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر! فإن أبوا عليكم ما سألتموه، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين. أنا جديلتها المحكك وعذيقها المرجب! (١) إلى هذا الحد ذهب «الخباب بن المنذر الأنصارى»: التهديد بطرد المهاجرين من المدينة!

وحاول أبو عبيدة رضى الله عنه تهدئة الموقف فقال «يا معشر الأنصار! إنكم أول من نصر وأزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير!»

(١) تاريخ الطبرى؛ أحداث سنة ٣١١-٣٢٠/٢٢٠-٢٢١، والخباب يفخر بشجاعته وخبرته العسكرية والقتالية التى عرفها الجميع عنه.

ولكن الكلمة المؤثرة بحق جاءت من « شير بن سعد الأنصاري » رضى الله عنه .
- قال بشير : « يا معشر الأنصار ! إنا والله لئن كُنَّا أَوْلَى فضيلة في جهاد
المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، وما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدرح
لأنفسنا . فلا ينبغي لنا أن نستطيع على الناس بذلك ، ولا نبغى به من الدنيا
عَرَضاً ! فإن الله وكى المنَّة علينا بذلك . ألا إن محمداً ﷺ من قريش ، وقومه أحق
به وأولى . وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ! فاتقوا الله ولا تخالفوهم
ولا تنازعوهم » (١) .

- هنا برزت الروح الإسلامية الحقيقية التي لا تعرف التحيز القبلي القديم
وهنا ذكّر « بشير » الناس بأن الجهاد والعمل لا يجب أن يتخذ ذريعة للفخر
والتطاول على الناس أو وسيلة للفوز بشيء من أعراض الدنيا ، لأن ذلك كله فضل
من الله تعالى ، وأيد « بشير » مبدأ « الإمامة في قريش » كما قرر النبي ﷺ .
لكن « الحباب » فهم كلمة « بشير » خطأ فقال : يا بشير ! عَقَّتْكَ عِقَاق !
ما أحوجك إلى ما صنعت ؟ أَنْفِسْتِ عَلَى ابن عمك الإمارة ؟
- فرد « بشير » قائلاً « لا والله ، ولكنى كرهت أن أنازع قوماً أمراً جعله الله
لهم » .

وقال « أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ - زعيم الأوس وأحد كبار الأنصار - لقومه : « والله لو
وَلَيْتَهَا الخزرج (قبيلة سعد بن عبادة والحباب بن المنذر) عليكم مرة لا زالت لهم
عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا
أبا بكر ! » فقاموا إليه فبايعوه .
وفى كلام أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ تبدو بقية باقية من آثار التنافس القبلي القديم بين
الأوس والخزرج قبل الإسلام .
وحسمت قبيلة « أسلم » الموقف حين أقبل رجالها بأعداد غفيرة فبايعوا
أبا بكر الصديق بالخلافة .

(١) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١هـ / ٣ / ٢٢١

وبعد ذلك جرى جدال عنيف بين سعد بن عبادة وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبشير بن سعد والخباب بن المنذر . ويقول خبر إن سعد ابن عبادة بايع أبا بكر ، ولكن أخباراً أخرى تنفى ذلك ، وهي الأرجح . (١)

– وهكذا كان يوم السقيفة يوماً للشورى السياسية ، تقابلت فيه الآراء وتضاربت المواقف ، وقى النهاية انتصرت المبادئ التي أرساها رسول الله ﷺ .

– لكن الشيرازى يرى أن تقديم أبي بكر على علي أو تقديم المفضل على الفاضل يوم السقيفة هو عمل : « جماعة حملتهم الأغراض الدنيوية والسياسية على بيعة أبي بكر . (٢) وهذا الكلام هو الطعن القبيح الذى يشعل الكراهية والفتنة بين السنة والشيعة . وهو كلام قديم مضى على نشره حوالى سبعين عاماً ، لكن مطابع بيروت الشيعية تعيد إصداره هذه الأيام بأحدث الأجهزة وأثمن الورق ! ويزعم ناقد شيعى آخر أن أبا بكر وعمر وحزبهما اتفقوا سرّاً لسلب علي حقه فى خلافة النبي ، فأسرعوا إلى السقيفة وعلي مشغول بتجهيز النبي ﷺ .

فهل كان من الصواب أن يقعد الشيخان ليختار الأنصار خليفة دون رأى المهاجرين ؟ وهل كان من الممكن تأجيل البت فى اختيار الخليفة عدة أيام ؟ وهل كان علي يفوز بتأييد المهاجرين والأنصار فى وجود أبي بكر وعمر ؟ وهل يظن أحد غير غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وحزبهما تأمروا لسلب علي حقه ؟ (٣)

إن أى باحث منصف لابد أن يقدر حكمة الشيخين يوم السقيفة .

ولو قبل الأنصار التأجيل – وهم لم يكونوا ليقبلوا – ورشح المهاجرون على بن أبي طالب ، ما كان من الممكن أن يدعوا أبا بكر ويختاروا علياً . وعلى كل من يشك فى هذا أن يعيد قراءة السيرة النبوية ليتبين أين يكون أبو بكر وأين يكون علي .

(١) تاريخ الطبرى ، أحداث سنة ١١ هـ / ٢٢٢-٢٢٣ . (٢) ليالى بيشاور ؛ ص ٢٦٧ .
(٣) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ٩٠ .

بَيْعَةُ الْعَامَّةِ وَدَسْتُورِ الصِّدِّيقِ

وفى اليوم التالى ليوم السقيفة جلس أبو بكر على المنبر فى الحرم النبوى بالمدينة المنورة ، وتكلم عمر أولاً فقال للحاضرين . «أيها الناس ! إني كنت قلت لكم بالأمس (فى اجتماع السقيفة) مقالة ما كانت إلا عن رأيي ، وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهداً إلى رسول الله ﷺ . ولكنى كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا . وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له . إن الله قد جمع أمركم على خيركم - صاحب رسول الله وثانى اثنين إذ هما فى الغار - فقوموا فبايعوا» (١)

وهذه الكلمات تمثل الأمانة والصدق فى أسمى صورة . فلم يكن ثمة سبب يحمل الرجل على قول ما قال . لكنه سياسى من مدرسة النبوة المحمدية فهو يخشى أن يظن ظان أن ما أعرب عنه من آراء فى اجتماع السقيفة إنما هو تعاليم من كتاب الله تعالى أو سنة سنّها رسول الله ﷺ فأراد أن يبدد كل الظنون الممكنة . وبعد البيعة قام خليفة رسول الله وخطب الناس خطبة مبهرة ، بين فيها دستور حكمه ، الذى لا يحلم به السياسيون والمفكرون فى القديم والحديث .

قال أبو بكر الصديق : «أما بعد أيها الناس ! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ! فإن أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح (أى أزد) عليه حقه إن شاء الله . والقوى منكم (هو) الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ! فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ! ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطيعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ! قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله» (٢)

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأحكام - رقم ٧٢/٩ - ٢٠٦/١٣

(٢) سيرة ابن هشام ؛ ٣٧٤/١ ، تاريخ الطبرى ؛ ٢١٠/٣ .

بهذه الكلمات الموجزة المضيئة حدد خليفة رسول الله منحه حكماً ، فبهرتنا أصوله السياسية والأخلاقية . وقد قال فيها د . هيكلم إنها آية من آيات الحكمة وفصل الخطاب»^(١)

– وماذا تريد أمة من رئيسها أكثر من هذا ؟

– وهل بوسع حاكم حديث أن يلتزم بدستور مثل هذا ؟

ولا ريب أن أبا بكر لم يبتدع هذا الدستور من عند نفسه . فقد استقاه من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول العظيم ﷺ ، لكنه برع في صياغته الموجزة المركزة الثرية بالمضامين السياسية والأخلاقية . إن أبا بكر لم يكن حاكماً كسائر الحكام ، وإنما كان خليفة نبي عظيم ، تقلد منصباً خطيراً لم يكن راغباً فيه أو ساعياً إليه وقد أعدته صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم للنهوض بتبعاته الثقيلة ، ووضعته في مكان رفيع في أعين الجميع ، فنهض بها على أحسن وجه ممكن .

ولقد رأيناه يرشح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح للخلافة يوم السقيفة ، فيقول عمر: «... وإني والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة! وإن كنتُ لأُقدمُ فتُضربُ عنقِي ، فيما لا يقربني إلى إثم ، أحبُّ إليَّ من أن أوْمُرُ على قوم فيهم أبو بكر.»^(٢)

– ويفسر لنا كثير من مواقف الخليفة الأول ما أثر عنه من قول «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية»^(٣) رضى الله عنه وأرضاه فلم ينل منها إلا المتاعب والمشاق والمسؤوليات الجسام ، ولأن أم المؤمنين عائشة كانت تحب والدها حباً عظيماً حاولت إعفائه من الصلاة بالناس ، وكررت المحاولة حتى غضب رسول الله ﷺ وقال: «إنكن صواحب يوسف! فمروه فليصل بالناس!» قالت عائشة: «فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر ، وعرفتُ أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه

(١) محمد حسين هيكلم ؛ حياة محمد ؛ ص ٥١٠ .

(٢) تاريخ الطبري ؛ أحداث سنة ١١-٣/٢٠٦ .

(٣) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ٦/٢٩٥ .

أبداً ، وأن الناس سيستشاهمون به فى كل حدث كان ، فكننت أريد أن يُصرف ذلك عن أبى بكر» (١)

ولو أراد النبى إبعاد أبى بكر عن المدينة ليخلو الجو لعلى ويفوز بمنصب الخلافة ، لأمر علياً ليصلى بالناس . فإصرار النبى على أن يصلى أبو بكر بالناس دليل قاطع على زيف مزاعم غلاة الشيعة بأن النبى أراد إبعاد أبى بكر عن المدينة لتمكين على من الفوز بالخلافة .

إن هذه المزاعم فيها انتقاص من مكانة النبى صلى الله عليه وسلم وآله . فهى تعنى أنه كان يكيد لأبى بكر ، أو حتى يتآمر ضده ! وحاشاه أن يفعل ! ولو أراد العهد بالخلافة لعلى لما تردد لحظة فى الإعلان عن ذلك أمام الجميع ، ولأصرَّ على أن يصلى علياً بالناس ، لا أبو بكر .

وليس صحيحاً أن أبى بكر منع أسامة بن زيد من التحرك بجيشه منتهكاً أمر النبى ببعثه ، وإنما كان المسلمون فى قلق عظيم لمرض نبىهم ، وانتقاص مدعى النبوة والمرتدين فى معظم القبائل ، فاستجاب لهم أسامة بالانتظار قليلاً حتى يطمئنوا على سلامة النبى . فلما تُوفى النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، وتمت البيعة لأبى بكر ، أصدر أمره لأسامة بالتحرك ، على الرغم من خطورة ذلك ، وعلى الرغم من نصيحة كبار الصحابة بإبقاء الجيش فى حراسة المدينة ، وقال رضى الله عنه : «والذى لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ما رددتُ جيشاً وجهه رسول الله !» (٢) فكانت مفخرة فى سيرة الصديق ، لا منقصة كما يتوهم الغلاة . (٣)

● الجهاد ضد المرتدين

وكان بعث جيش أسامة خطراً على المدينة كما سنرى فيما يلى .

(١) سيرة ابن هشام ؛ ج ٤ ص ٦٥٢ ؛ ص ٦٥٠

(٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ج ٦ ص ٢٩٨

(٣) شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ١٠٤

فقد اتسع نطاق الردة بين القبائل العربية بُعِيدَ تولى أبي بكر الخلافة : « فلم يعد يسجد لله تعالى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس فى البحرين ، فى قرية يقال لها «جوانا» . وظل المسلمون المتمسكون بدينهم محاصرين فى «جوانا» إلى أن فتح الله تعالى على المسلمين بلاد اليمامة ، فبعث رجل منهم رسالة استغاثة إلى خليفة رسول الله قال فيها :

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قومٍ كرامٍ قعودٍ فى «جوانا» مُحصرينا
كأن دماءهم فى كل فجٍ دماء البُدن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن أنا وجدنا النصر للمتوكلينا

وهذه الرسالة تصور الأوضاع المتردية فى معظم أنحاء الدولة المسلمة .

ووجدت هذه الاستغاثة وأمثالها أذناً صاغية لدى الصديق رضى الله عنه ، فحشد رجاله ، وأرسلهم دون إبطاء لإغاثة المسلمين فى كل مكان .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : « لما مات رسول الله ﷺ ، وقصَلَ أسامة (بن زيد) بجيشه ، ارتدت العرب ، عوام أو خواص . وتَوَحَّى (أى : ادعى الوحي) مُسيلمة وطلِيحة ، فاستغلظ أمرهما . واجتمع على «طلِيحة» عوامُ قبيلة طيء وقبيلة أسد وارتدت قبيلة غطفان ؛ إلى ما كان من «أشجع» ، وخواص من قبيلة الأفاء ، فبايعوه . وقَدِّمَت قبيلة هوازن رجلاً وأخرت رجلاً : أمسكوا الصدقة ، إلا ما كان من ثقيف ولفها ، فإنهم اقتدى بهم عوامٌ «جديلة والأعجاز» .

وارتدت خواص سُليم ، وكذلك سائر الناس بكل مكان ! (١) وعن المجالد ابن سعيد قال : «لما قصَلَ أسامة بجيشه كَفَرَت الأرض ، وتضرمت ناراً ، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة ، إلا قريش وثقيفاً» (٢) .

(٢) الموضع نفسه .

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

- وحرَّق الأسود العنسيّ من تمسكوا بإسلامهم، وأشهرهم أبو مسلم الخولاني (١).
وجاء زعماء القبائل إلى أبي بكر في المدينة المنورة : « مرتدين يقرون بالصلاة
ويعنعون الزكاة ، فلم يقبل منهم ، وردَّهم » (٢).

- وفطن الصديق إلى أن أولئك الزعماء سيعاودون الهجى إلى المدينة ،
مهاجمين مقاتلين ! وصدق حدُّسه ، فقد أغاروا على عاصمة الدولة ليلاً ، لكن
حماة المدينة الذين كانوا يكمنون لهم متوقعين غدرهم ، استطاعوا دحرهم ،
فهربوا . ثم عاودوا الهجوم فجراً ، لكنهم هربوا مرة أخرى أمام قوة المسلمين
البواسل . وغنم المسلمون الكثير من الخيل والدواب ، وكان نصراً أعز الله به المؤمنين
وأذل المرتدين .

وكان لذلك النصر أصدأوه الإيجابية فجاءت بعض القبائل إلى المدينة تحمل
الصدقات .

ووردت الأخبار إلى المدينة تقول إن : « بنى ذبيان وَعَيْس » وثبوا على من
تمسكوا بإسلامهم من أبناء جلدتهم ، فقتلوهم شرقاً . والجريمة نفسها اقترفتها
قبائل عديدة أخرى .

وحزن المسلمون في المدينة حزناً عظيماً ، وأقسم أبو بكر : لَيَقْتُلَنَّ من
المشركين كل قتلة ! وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة » (٣).

وقرر الصديق أن يخرج بنفسه لقتال أهل « الرُبذة » ، فناشده المسلمون أن
يبقى في المدينة حرصاً على حياته ، وقال قائلهم : « إنك إن تُصَبَّ لم يكن للناس
نظام » . فقال الصديق : « لا والله ! لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى ! » واندلع القتال
بقيادته ، وانهزم المشركون ، وأجلى الصديق بنى ذبيان عن تلك البلاد ، كما إجراء
وقائى لأمن المدينة في حالة حرب شاملة كتلك التي كان يخوضها المسلمون .

(١) فوات الوفيات ؛ ج ٢ ص ١٦٩

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ ج ٣ ص ٢٤١ ، ٢٥١ .

(٣) نفسه ؛ ج ٣ ص ٢٤٦

وشرع ابو بكر فى تجييش الكتائب وإرسالها لمقاتلة المرتدين .
 فعقد لخالد بن الوليد لواءً وأمره بـ « طليحة بن خويلد » الذى ادعى النبوة ؛
 فإذا فرغ من طليحة يسير إلى مالك بن نويرة .
 وعقد لواءً لعكرمة بن أبى جهل ، وأمره بـ « مسيلمة » الكذاب فى بلاد اليمامة .
 وقد انتهى الأمر بمقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، وفتحت بلاد اليمامة صلحاً . (١)
 وعقد لواءً للمهاجر بن أبى أمية ، وأمره بالقضاء على الأسود العنسى - عبهلة -
 مدعى النبوة فى اليمن الذى تفاقم خطره واستولى على مناطق واسعة وطرد
 المسلمين منها .

- وعقد لواءً لخالد بن سعيد بن العاص ، وبعثه إلى الشام .
- وعقد لواءً لعمر بن العاص وبعثه إلى بلاد قضاة .
- وعقد لواءً لحذيفة بن محصن الغطفانى وأمره بأهل « دبا » .
- وعقد لواءً لعرفجة بن هرثمة وأمرة بقبائل « مهرة » .
- وعقد لواءً لشرحبيل بن حسننه ، وبعثه تعزيزاً لعكرمة .
- وعقد لواءً لطريف بن حاجز ، وأمره ببني سليم وهوازن .
- وعقد لواءً لسويد بن مقرن ، وأمره بـ « تهامة اليمن » .
- وعقد لواءً للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين . (٢)

وكان المنذر بن ساوى ، عامل النبى على البحرين ، قد توفى بعد وفاة النبى
 بقليل ، فارتد أهل البحرين بعد موته ، وهُم قبائل عبد القيس وبكر . لكن الله
 تعالى قيض لهم رجلاً صالحاً هو الجارود بن المعلى ، أقنعهم بالتوبة والعودة إلى
 ظلال الإسلام . وكانت حجة القوم أن محمداً قد مات ، ولو كان نبياً ما مات !
 فقال لهم الجارود : « ألم يمت أنبياء الله السابقون ؟ قالوا : بلى ! قال : فإن محمداً
 قد مات كما ماتوا » فعادوا إلى الإيمان . (٣)

(١) الذهبى ؛ العبر ؛ ج ١ ص ١١

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ ؛ ج ٣ ص ٢٤٩

(٣) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١١ هـ

وكتب أبو بكر رسالة إلى القبائل المرتدة قال فيها: إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات: «وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوهُ إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر، وكف، وعمل صالحاً، قَبِلَ منه وأعانهُ عليه؛ ومن أبى أمرتُ أن يقاتله على ذلك. ثم لا يُبقى على أحد منهم قَدَرٌ عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبى النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام». (١)

قاد أبو بكر عشر معارك في آن واحد! ولولا تصميمه الفولاذي على إنقاذ الأمة من الدمار، ولولا رجال عظماء من الصحابة قادوا الجيوش وقاتلوا وقتلوا، لما بقي للإسلام دولة. ولا يجوز لباحث منصف أن ينسى تلك القيادة الغذة الشجاعة، وينشغل بمحاولات يائسة للنيل من الخليفة الأول العظيم.

كان موقف الصديق الحازم في مواجهة مدعى النبوة والمرتدين دليلاً عملياً ساطعاً على جدارته بالمنصب الكبير الخطير في ظروف عسيرة مخيفة. ويكفي أن نذكر أن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل الشهير بالحسب والحزم قد حاول ثني الصديق عن قتالهم، وقال مُذَكِّراً الصديق إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال: «أمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله» ورد أبو بكر بقوله: «والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عَقَلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على منعه». (٢)

وواضح أن مراجعة عمر لا تشمل مدعى النبوة أو المرتدين، بل تتحفظ على قتال مانعي الزكاة الذين لم يعلنوا ردتهم. وقد تيقن المسلمون منذ تلك المعركة أن إنكار أي معلوم من الدين بالضرورة كفر؛ فمنع الزكاة كفر.

(١) نفسه؛ أخبار سنة ١١ هـ ج٣ ص ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) الشوكاني؛ نيل الأوطار؛ كتاب الصلاة؛ ج١ ص ٢٨٩

وانتصر البطل خالد بن الوليد على « طليحة » مدعى النبوة ، الذى قرأ إلى الشام ونصح بقية قومه - فزاره - بالفرار !

ورأت قبائل بنو عامر وسُلَيْمٍ وهَوَازِن ذلك النصر المبين ، فأقبلوا يقولون :
« ندخل فيما خرجنا منه - يعنى يريدون العودة إلى الإسلام - ونؤمن بالله ورسوله ،
ونسلم لحكمه فى أموالنا وأنفسنا » .^(١)

والأخبار فى المصادر المعتبرة تبين أن القوم ارتدوا واتبعوا الأنبياء الكذبة .
وليس صحيحاً قول بعض النقاد الشيعة إن القوم « تريثوا » فى بيعة أبى بكر . .
فقط تريثوا !

ولم يقبل المجاهد العظيم القعقاع بن عمرو من قبائل أسد وغطفان وطيء إلا أن يأتوه بالمجرمين الذين حرقوا المسلمين ومثلوا بهم ، فأتوه بهم ، فعاقبهم بمثل ما صنعوا بالمسلمين الأبرياء ، فحرق بعضهم بالنار ، ورضخ بعضهم بالحجارة ورَمَى ببعضهم من قمم الجبال ، وبعث ببعض الأسرى إلى أبى بكر !

لكن فلول غطفان وهوازن وسُلَيْمٍ وأسد وطيء تجمعت وراء امرأة يقال « سلمى أم زمل » ، كانت قد سُبِيت فى معركة سابقة وانتهى أمرها إلى أن صارت جارية عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ثم رجعت إلى قومها ، وتزعمتهم بأساطير رددتها ! وكان لها جمل تركبه وتقف فوقه ، وقد أحاطته بأساطير خرافية حتى قيل : مَنْ نَحَسَ جملها فله مائة من الإبل ! ولم يغن ذلك شيئاً حين التقت بالمسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، إذ اجتمع حول الجمل بعض الفرسان وعقروه وقتلوا . وبعث خالد بأخبار النصر إلى أبى بكر فى المدينة .^(٢)

كانت تعليمات الصديق لقادة جيشه قواعد أخلاقية رفيعة بحق . فقد قال لرجال جيش أسامة وهو يودعهم : « أيها الناس ! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تُغَلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١ هـ - ج ٣ ص ٢٥٦

(٢) نفسه ؛ أخبار سنة ١١ هـ - ج ٣ ص ٢٦٤

ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،
ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً إلا للمأكلة . . .» (١)

وكل من يخالف هذه القواعد كان يعاقب . هذا هو الأمر المعتاد . فلا يعقل
أن يقال - كما قال النقاد الشيعة - إن أبا بكر لم يكن يحاسب قاداته أو عماله .
فكيف يمكن تخيل ذلك في دولة تحكمها شريعة وقيم أخلاقية وقواعد حربية ؟

● شناعة الغدر

ومن عجائب المشركين في حروب الردة أن رجلاً يقال له « الفجاءة إياس
ابن عبد ياليل » جاء إلى أبي بكر وزعم أنه مسلم وأنه يريد قتال المرتدين ، غير أنه
يعوزه السلاح . وصدقه أبو بكر وأعطاه بعض السلاح . لكن الفجاءة استخدم
السلاح لقتل المسلمين ! وغضب الصديق غضباً شديداً ، وأرسل طريف بن حاجز
لقتله أو أسره ، فأسره ، وبعث به إلى الصديق الذي أوقد له ناراً وألقاه فيها مكبلاً! (٢)
وتلك عقوبة رهيبة ، لكن الخداع والغدر الوضيع واستباحة دماء المسلمين
بسلاح المسلمين ، كلها أعمال رهيبة ومثيرة إلى أبعد الحدود . والأصل في الإسلام
أنه لا يحرق بالنار إلا خالق النار سبحانه وتعالى .

وقد اشتد النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - في عقاب الخونة الغادرين الذين
أكرمهم النبي وسقاهم وأطعمهم ، فقابلوا كرمه العظيم بقتل يسار راعي رسول الله :
« فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه » ثم سرقوا الإبل والأغنام وهربوا . وأرسل
النبي كُرْز بن جابر وراءهم فأتى بهم : « فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّلَ
أعينهم » (٣) فبشاعة الجرم سوَّغت شدة العقوبة والغدر الخسيس له وقع أليم وهو
جدير بالعقاب المريع !

وكانت حالة الفجاءة استثناءً أما القواعد العامة التي سار عليها الصديق ،
فكانت ضمن حدود الشريعة الغراء التي تقول ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

(١) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ١١ هـ ج٣ - ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ١١ هـ ج٣ ص ٢٦٤

(٣) سيرة ابن هشام ؛ ج٢ ص ٦٤١

بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴿ [البقرة: ١٩٤] وتقول ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] وقد أمر قاداته لقتال مَنْ رجع عن الإسلام أن يتقوا الله : « فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له ، قَبِلَ ذلك منه ، وأعانهُ عليه بالمعروف ، وإنما يُقاتل مَنْ كفر بالله . . فمن أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل . . » (١)

● قصة مالك بن نويرة

وكانت قبائل بنى تميم خاضعة للدولة المسلمة ، وعين النبي صلى الله عليه وسلم وآله عمالاً لإدارة شؤونهم . وكان مالك بن نويرة أحد أولئك العمال ، على بنى يربوع . وعزم الزبيرقان ، وهو أحد أولئك العمال ، على البيعة لأبي بكر وإرسال الصدقات إلى المدينة ، في حين ارتد بعض رجال القبائل واضطربت أحوال القوم ، فبعضهم آثر الانتظار وبعضهم ارتاب ، وبعضهم تردد ؛ وفي أثناء ذلك فاجأتهم امرأة تدعى « سجاح بنت الحارث » ، تفود بنى تغلب وقبيلة ربيعة ، فكانت داهية أصابت قبائل تميم حيث هاجمتهم وهم في تلك الحال من الاضطراب والتفكك ! ودعت مالك بن نويرة إلى المواعدة فأجابها .

● خالد بن الوليد والمرتدين

ادعت سجاح النبوة ، وأرادت غزو المدينة المنورة وحملها مالك بن نويرة على أحياء بنى تميم ، واضطر عمال النبي إلى الهرب ، وأنكروا ما صنعه مالك بن نويرة . ثم اتفق مالك وسجاح ورجل يدعى وكيع على قتال المسلمين . (٢) ثم اتجهت سجاح إلى اليمامة واتفقت مع مسيلمة . وفاجأهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ففترقوا ، فلجأت سجاح إلى بنى تغلب . وجاء بنو مالك إلى خالد بن الوليد يحملون الصدقات ، واعتذروا له عن مواعدة سجاح . ولم يبق من بلاد بنى حنظلة متمردين إلا مالك بن نويرة ومن انضم إليه من قبيلة البطاح . (٣)

وبعد أن أخضع خالد قبائل أسد وغطفان وطيباً وهوازن ، اتجه إلى « البطاح » ،

(١) تاريخ الطبري ؛ ج٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢ (٢) تاريخ الطبري ؛ ج٣ ص ٢٧٠

(٣) نفسه ؛ ج٣ ص ٢٧٦

ولما أحس مالك بن نويرة بقدم خالد ، وزع أتباعه في أراضيتهم ، وقال لهم : « يا بنى يربوع ! إنا قد كنا عصينا أمراءنا (يقصد أبا بكر الصديق) إذ دعونا إلى هذا الدين ، ويطأنا الناس عنه ، فلم ننجح ولم نفلح » ورجع هو إلى منزله .

وأمر خالد رجاله بأن يأتوه بكل من لم يجب إلى الإسلام ، فجاءوه بمالك بن نويرة وآخرين . وكانت ليلة باردة فأمر خالد رجاله بأن « يدفئوا أسراهم » . وكانت هذه العبارة في لغة كنانة تعنى القتل ، فقتلوه ! وكان ضرار بن الأزور هو الذى قتل مالك بن نويرة ، أى أن خالد بن الوليد كان بريئاً من دمه ، لكنه أخطأ حين تزوج امرأته أم تميم ابنة المنهال ، « وتركها لينقضى طهرها »^(١) وقد عَنَّفَه أبو بكر على الزواج ، لكنه عذره فى قتل مالك .

ويتناسى النقاد الشيعة كل بطولات خالد وجهاده العظيم ضد أذعياء النبوة وأتباعهم من المرتدين والتمرديين ومانعى الزكاة ، ولا يذكرون إلا مقتل مالك بن نويرة ، لكى يتخذوه تكئة للتهجم على الصديق رضى الله عنه ، ويتورط بعض المؤلفين السُّنة فى الانجرار إلى موقف الدفاع عن الرجلين العظيمين خالد وأبى بكر! والعلم الموضوعى يجب أن يتصدى لذلك النقد المغرض ، وأن يتجاوز به سرعة ، لكى ينشغل بالفتوحات والانتصارات الكبرى التى أنقذت الدولة المسلمة من الانهيار الشامل ، وأعدت بنيانها قوياً شامخاً .

ومن مفاخر الصديق وعمر بن الخطاب أنهما أرسلتا عبد الرحمن بن أبى بكر وزيداً بن الخطاب شقيق عمر ، تحت إمرة خالد بن الوليد إلى تلك المعركة الرهيبة ! وكان معهما أيضاً عبد الله بن عمر . وقد استشهد زيد ، وعاد عبد الله ، فسأله والده :

أَلَا هَلَكْتَ قَبْلَ زَيْدٍ ؟ !

فرد عبد الله : قد حرصتُ على ذلك أن يكون ، ولكن نفسى تأخرت ، فأكرمه الله بالشهادة .

(١) تاريخ الطبرى ؛ ج٣ ص ٢٧٩

وأبلى عبد الرحمن بن أبي بكر بلاءً حسناً ، إذ قَتَلَ أَحَدَ أعظم قادة بنى حنيفة « مُحَكَّم بن الطفل » ، رماه عبد الرحمن بسهم فى نحره فقتله .

واجتمعت جموع بنى حنيفة الهائلة فى حديقة لهم ، فقال البراء بن مالك لإخوانه المجاهدين : ألقونى عليهم ! فألقوه ، فقاتل قتالاً شرساً حتى فتح الباب للمسلمين !

وقَتَلَ وحشى* مسيلمة بحريته الشهيرة ، ثم أجهز عليه رجل من الأنصار . كانت معركة الحديقة هى المعركة الكبرى الفاصلة . وقد وقعت قبلها معركة صغيرة ، قَضَى المسلمون فيها على كل من شارك فيها من بنى حنيفة ، وأسروا زعيمهم « مجاعة بن مرارة » ، الذى وقع وثيقة الاستسلام عن قومه بُعيد المعركة الكبرى .

وتوصف معركة الحديقة بأنها لا مثيل لها فى تاريخ العرب حتى ذلك اليوم وكان رجال بنى حنيفة ٤٠٠٠٠٠ (أربعمائة ألف) قَتَلَ منهم ألف وأربعمائة ومن المسلمين ألف ومائتين .

وتجلت عبقرية خالد حين رأى الحرب سجالاً ، تكون مرة على المرتدين ومرة على المسلمين . عندئذ أمر أن يقاتل رجال كل قبيلة معاً ، وقال للناس : « أيها الناس امتازوا ، لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نُؤتى ! » وأدرك البطل أن النصر لن يتم إلا بقتل مسيلمة ، فهاجمه وأرهقه ، فأدبر ، وتراجع قومه من ورائه واحتموا بالحديقة . وفتح بابها البراء بن مالك ، وقتل وحشى مسيلمة ، وانهمزم المرتدون . ووقع « مجاعة » وثيقة الاستسلام .

● نقطة ضعف فى البطل

وتجلت نقطة الضعف فى القائد الفذ ، إذ طلب الزواج من ابنة « مجاعة » ، فى ظرف غير مناسب بالمرّة ؛ وغضب الصديق من ذلك فكتب إليه يقول : « لعمري يا بن أم خالد ! إنك لفارغ ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد ! » (١)

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٣هـ ج٣ ص ٣٠٠

وغضب عمر بن الخطاب من سلوك خالد بن الوليد وخصوصاً مَقْتَل مالك بن نويرة ، وألح على الصديق أن يعزله ، فقال أبو بكر : لا يا عمر ، لم أكن لأشيم (أى أعمد) سيفاً سلَّه الله على الكافرين .»

واعتذر خالد لأبي بكر عما حدث ، وشرح له تفاصيل الوقائع ، فَعَدَّرَه . وقال أبو بكر لعمر " هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ! » ودفع الصديق الدية الشرعية لأهل مالك كما هي فى القتل الخطأ ورد السَّبِي إلى بنى يربوع ، قوم مالك .

وكان من تفاصيل حادثة مقتل مالك بن نويرة أنه تحدث إلى خالد فقال ضمن حديثه : « ما أخالُ صاحبكم - يعنى النبي ! - إلا وقد كان يقول كذا وكذا » فقال له خالد : « أو ما تعدُّه لك صاحباً ؟ » والمؤمن الحق لا يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله بذلك الأسلوب ، فأدرك خالد أن الرجل قد ارتد . هذا فضلاً عن موادعته « سُجَّاح » والعمل معها ضد المسلمين ، وتحريض قومه على عدم إيتاء الزكاة .^(١)

وينسى الناقد الشيعى كل هذه الحقائق ، للأسف ، ليصور البطل المجاهد خالد بن الوليد فى صورة المعتدى ، ويصور الصديق رضى الله عنه فى صورة المستهين بدماء المسلمين ؛ وهذا النقد متحيز وغير علمى ، ولا وزن له ، بل هو مضلل ، يغشَّى على أبصار المسلمين حتى لا يروا حقيقة الانتصارات الباهرة التى حققها الصديق ورجاله المجاهدون ، فى ظروف غاية فى الصعوبة والاضطراب .

وكان المنذر بن ساوى - عامل النبي على البحرين - قد مات بعد موت النبي ﷺ بقليل . وارتد بعض أهل البحرين بعد موته ، وثبت بعضهم على إسلامه . وبعث أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمى إلى البحرين ليفك الحصار الخائق الذى ضربه المرتدون على المسلمين . وكان يقود المرتدين رجل اسمه « الحُطَم بن ضُبَيْعَة » وكان مالك بن نويرة يعينه على المسلمين وهو فى البطاح^(٢) .

(١) راجع تفاصيل هذه القضية فى تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ ؛ ج١ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ؛ وصحيح مسلم ؛ ج٣ ص ٢٠٣ ؛ وفوات الوفيات ؛ ج٣ ص ٢٣٤
(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١١هـ - ص ٣٠٥

- وبعث العلاء أحد رجاله ليستطلع أحوال الأعداء ، فوجدهم في معسكرهم سكارى ! واقتحم المسلمون معسكرهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، وفر الباقون . ووقع بعضهم في الأسر وقُتِلَ « الحُطَم » وتجمعت فلولهم في مكان يسمى « دارين » فطاردهم المسلمون وهزموهم شرهزيمة . وكتب العلاء إلى الصديق يبشره بالنصر .

● عُمان و«مَهْرَة» ونبي كاذب !

وكان قد ظهر في عُمان رجل اسمه « ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي » ، ادَّعى النبوة ، وارتد عن الإسلام بعد أن كان قد أسلم . وسيطر على عمان ، وطرد منها عاملى النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، وهما : جَيْفَر وَعَبَّاد ، فُلجأوا إلى الجبال . واستغاثا بأبي بكر ، فبعث إليهما حُدَيْفَة بن محصن الغُلْفَانِي وعرفجة البارقي . واتجه حذيفة إلى عمان ، واتجه عرفجة إلى « مَهْرَة » ثم عززهما الصديق بعكرمة بن أبي جهل . وتجمع كل أولئك القادة ونظموا قوتهم ، واتفقوا مع بعض القبائل ، ثم خاضوا المعركة ضد « لقيط » وكانت معركة رهيبة ، قُتِلَ فيها (١٠٠٠٠) عشرة آلاف من المرتدين ، وغنم المسلمون الكثير ، فكان الخمس الذي أرسل إلى أبي بكر (٥٠٠) خمسمائة رأس^(١) .

ثم اتجه المسلمون إلى « مهرة » فوجدوها منقسمة على نفسها . وتزعم جماعة منها رجل اسمه « شخریت » ، وقد هداه الله وعاد إلى الإسلام بدعوة عكرمة بن أبي جهل ، وانضم إلى المسلمين في قتال الجماعة الأخرى التي أصرت على الردة بقيادة المدعو « المصَّحَّح » . وانتصر المسلمون وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبي بكر مع البشارة بالنصر .

وفي « تهامة » انتصر عَتَّاب بن أسيد مع من ثبت على إسلامه .

وفي بلاد « عَك » انتصر الطاهر بن أبي هالة على المرتدين .

وهكذا أنقذ أبو بكر الصديق وإخوانه الأبطال والدولة المسلمة من الانهيار والزوال ، رضی الله عنهم جميعاً .

(١) تاريخ الطبری : أحداث سنة ١١هـ - ج ٣ ص ٣١٣ - ٣١٦ .

● البذرة الأولى للخلاف : على يتأخر عن البيعة

إن المعلومات التي تزخر بها المصادر الإسلامية على وفرتها لا تجيز للباحث المنصف الحديث عن وجود « سنة وشيعة » في تلك الفترة الباكرة إلا بعد مقتل عثمان بن عفان : كما سنرى فيما يلي من هذه الدراسة . أما قبل ذلك فلم يوجد إلا جماعة المسلمين أو « الأمة المسلمة » .

لكن بيعة أبي بكر أفرزت خلافاً بين علي بن أبي طالب وأبي بكر ، ومن الممكن اعتبار ذلك بذرة الخلاف الأولى بين الفريقين . ذلك أن علي بن أبي طالب لم يبايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر من يوم السقيفة ، وبعد وفاة فاطمة الزهراء رضي الله عنها . وكان يرى أنه الأحق بالإمامة (١) .

يقول الطبري أن علياً رضي الله عنه جمع بنى هاشم عنده واستدعى أبا بكر، فلما دخل عليه قال عليُّ : «أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ، ولا نفاسةً عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر (يعنى الخلافة) حقاً فاستبددتم به علينا» ثم ذكر عليُّ قرابته من رسول الله ﷺ (٢) .

- ورد أبو بكر قائلاً : «أما بعد ، فوالله لقرابة رسول الله أحب إليَّ أن أصِلَ من قرابتي .» (٣) ثم تطرق الحديث إلى موضوع ميراث فاطمة من أبيها . وبعد ستة أشهر بايع عليُّ أبا بكر ، وأثنى عليه . ورأى المسلمون ذلك فأقبلوا على عليِّ وقالوا له : «أصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ» (٤)

- وحاول أبو سفيان بن حرب في فترة قعود عليٍّ عن البيعة لأبي بكر أن يحرض عليّاً على التمرد وانتزاع الخلافة بالقوة . وكان يحاول إثارة نائرة عليٍّ

(١) نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية : ص ٣٣

(٢) تاريخ الطبري ؛ أحداث سنة ١١هـ - ٣/٢٠٧

(٣) نفسه ؛ ٣/٢٠٩ (٤) نفسه .

فيقول: أين الأدلّان ، علي والعباس ؟! وقال لعلي يوماً: «أباحسن ! أبسط يدك حتى أبايعك !» فرفض علي وقال له: «إنك والله ما أردت إلا الفتنة ! وإنك والله طالما بغيّت الإسلام شراً ! لاجاجة لنا في نصيحتك !»^(١) وهذا الحوار يبين حكمة علي رضي الله عنه وفهمه العميق للناس .

وقد علق ابن كثير رحمه الله على مبايعة علي لأبي بكر بقوله: «إن مبايعة عليّ دون تأخير هي ما يليق به . والذي يدل عليه الآثار : من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصبه بعد موت رسول الله ﷺ ... وبذله النصيحة والمشورة بين يديه»^(٢)

لكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين يؤكد أن علياً لم يبايع أبا بكر ، بل إنه حاول الانتقاص عليه ، لكنه أخفق ، فظل معارضاً له دون أن يتمكن من القيام ضده بعمل مسلح .^(٣)

وذكر «القبانجي» أن علياً كان يدور على بيوت الأنصار ، ومعه زوجته يحثهم على نقض البيعة لأبي بكر ومبايعته هو ، وأنه جمع حوله بعض أنصاره ، مثل الزبير بن العوام والمقداد ، ومعهم السلاح . وكان يدبر الأمور معهم في بيته للإطاحة بأبي بكر ! (المصادر السنية لم تذكر شيئاً عن تلك المؤامرات)^(٤)

لكن ثمة خبراً يشير إلى صحة ذلك ، فيذكر أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت عليّ وكلم فاطمة قائلاً: «يا بنت رسول الله ! ما من أحد في الخلق أحب إلينا من أبيك ومنك بعد أبيك . وإيم الله ما هذا بما نعي ، إن اجتمع هؤلاء نفر عندك ، أن أمر بتحريق البيت عليهم !»^(٥)

إن تهديدات عمر لاتكون بهذه الشدة إلا كرد فعل لعمل خطير ، وهي محاولة عليّ الانقلاب على الخليفة . ويجب ألا ننسى أن هذه الأحداث وقعت في الفترة الحرجة التي كانت حركة الردة الشاملة تتهدد الأمة المسلمة بعيّد وفاة النبي ﷺ .

(١) نفسه . (٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ج ٦ ص ٢٩٥

(٣) القبانجي (صدر الدين)؛ تاريخ التشيع الفكري والسياسي ؛ ص ٤٨

(٤) القبانجي ؛ تاريخ التشيع الفكري ؛ ص ٢٦

(٥) النص والاجتهاد ؛ هامش ص ٩٢

وكان من الطبيعي أن يغضب الخليفة الذي كان ينتظر العون من على وأصحابه . فإذا أثار عنه أنه انتقد علياً ووصف فعلته بالفاظ شديدة - دون ذكر اسمه - كان معذوراً في ذلك دون ريب .

والناقد الشيعي لم ينتبه إلى أن التآمر على إمام الأمة خطأ جسيم ، لا يرتضيه مسلم عادي ، ناهيك عن إمام عظيم مثل علي ، يدعون له العصمة . إن كل ما يشغله هو النيل من أبي بكر بإثبات أنه سبَّ علياً دون أن يذكر اسمه . وفي اعتقادي أن هذه الأخبار ملفقة ولا تليق بالإمامين العظيمين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما . (١)

● البذرة الثانية للخلاف

والبذرة الثانية للخلاف بين علي وأبي بكر كانت «أرض فدك» ، وهي ضيعة من أموال يهود بنى النضير : «مما أفاء الله على رسوله ، مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت للنبي ﷺ خالصة دون المسلمين ، فكان النبي ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة ، فما فضل جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل ، ثم توفي النبي ﷺ فوليتها أبو بكر يمثل ما وليها رسول الله ﷺ .» (٢)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «إن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، تطلب صدقة النبي التي بالمدينة «وفدك» وما بقي من خمس خيبر» (٣) .

«فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : لا تورث . ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، يعني مال الله ، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل . وإنني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ، ولا عملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ» (٤)

(١) ليالي بيشاور ؛ ص ٣٢٢

(٢) الشافعي ؛ الأم ، ط الشعب ، ٤ / ٦٥-٦٤

(٣) فتح الباري : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٧٧ / ٧٣٧١١

(٤) نفسه ؛ رقم ٣٧١٢ ، وأيضاً كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣٠٩٢ - ٦ / ١٩٦

وهذا هو عين الصواب الذى ينتحى أن يتمسك به خليفة النبى .
وقد غضبت فاطمة رضى الله عنها من رد أبى بكر وخاصته حتى ماتت .
والخلاف هنا لا يتعلق بالخلافة أو الإمامة ، بل بمسألة مالية . وأبو بكر
تصرف كما كان يفعل دائماً ، أى كمتبوع لرسول الله ﷺ ، لا كمتبوع مخالف له .
وفى هذه المسألة وجد نفسه بين نارين : فهو إما أن يرضى فاطمة ويخالف سنة
النبى وإما أن يمتثل للسنة ويغضب فاطمة ، وقد اختار الامتثال للسنة ، وهذا هو
الاختيار الصائب .

ويلاحظ أن حديث «لأنورث ما تركنا فهو صدقة» ليس من رواية أبى بكر
وحده ، فقد رواه أيضاً عمر وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص
وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبى وأبو هريرة وعلي بن
أبى طالب نفسه : «والرواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد ، مشهورة ،
يعلمها أهل العلم بالحديث»^(١)

ويجب أن نتذكر أن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر ، وسائر أزواج
النبى ﷺ ورضى الله عنهن جميعاً كان لهن نصيب فى تركة النبى لو لم تثبت
صحة ذلك الحديث . ولو كان أبو بكر ممن يؤثر الدنيا على الآخرة لقسّم التركة
على الورثة ، ومنهم ابنته ، لكنه آثر طاعة رسول الله واتباع سنته .

ومع مرور السنين والأحقاب تنقلب الحقائق إلى خرافات ، فتصير حدود
فدك ، فى حوار بين الخليفة العباسى المهدي والإمام الكاظم ، جبل أحد ،
وعريش مصر ، ودومة الجندل ! وفى رواية أخرى أن الحوار كان مع هارون الرشيد
والإمام موسى بن جعفر ، وأنه حدد حدودها بعدن وسمرقند وإفريقيا وسيف البحر
(قرب أرمينيا)»^(٢)

وهذا مستحيل طبعاً ، لأن الإمام موسى بن جعفر كان على علم بحدود فدك

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٤٤٠/٢ ؛ وابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛

١٥٧/٢

(٢) راجع الحكومة الإسلامية للخومينى ؛ وقد نقله عن بحار الأنوار .

-وهي مرعبة بأرض الحجاز- ولا يمكن أن يقول ذلك الكلام الخاطيء . والمشكلة أن المؤلفين الشيعة الذين أوردوا هذا الكلام الخاطيء كصاحب كتاب بحار الأنوار ، والخومينى نفسه ، لم يعلقوا على الخبر مما يفهم منه أنهم مصدقون له !

ويزعم بعض غلاة الشيعة أن أبا بكر طلب من فاطمة شهوداً لإثبات ملكيتها له «فدك» ويعترض هؤلاء على طلب أبي بكر بقولهم إن فاطمة كانت معصومة من الخطأ، مأموناً منها فعل القبيح ، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبينه»^(١)

غير أن الروايات التي ذكرت مسألة فدك ، وهي عديدة ، لم يرد فيها ذكر العصمة ، ولم يقل على ولا قالت فاطمة إننا معصومان ، ولا نخطيء ، وكلامنا يجب أن يصدق دون شهود ! ولم يؤثر عن علي في أية قضية كان طرفاً فيها أن قال أنا معصوم . فإذا لم يقل إنه معصوم في أية قضية كان معنى ذلك أنه لم يكن معصوماً . والحق أن العصمة للنبي ﷺ في كل ما يبلغه عن ربه ، كما سوف نثبت ذلك في فصل آت . ومن البدهى أن لا أحد سواه كان معصوماً .

ويزعم هؤلاء الغلاة أن أبا بكر كتب كتاباً بتسليم فدك إلى فاطمة بشهادة على ، لكن عمر بن الخطاب مزق الكتاب وخرقه ! بل قالوا إن عمر أخذ الكتاب من فاطمة وتفل فيه ، ومزقه ، فخرجت فاطمة تبكي»^(٢)

كأن عمر هو الخليفة ، لا أبو بكر ! ولنفرض أن عمر صنع ذلك الصنع القبيح، فهل كان علي يسكت عليه ؟ وهل كان أبو بكر يتقبله وهو إهانة له ؟ ألم يكن من الطبيعي أن يكتب أبو بكر كتاباً آخر لفاطمة !؟

-إن هذا لم يحدث ، لأن الخير أصله من مخترعات غلاة الشيعة الذين أرادوا « شيطنة » عمر . ويشهد الله والمؤمنون في كل العصور أن عمر بن الخطاب كان مفخرة للإسلام والمسلمين في عدله وحكمه ، وأنه قاد الأمة إلى الفلاح والنجاح ، والاستقرار ، والأمن ، والسيادة على أصقاع واسعة من العالم ، من بلاد الشام ، ومصر ، وبلاد فارس ، وإن أية محاولة للنيل منه لهى جريمة كبرى فى حق أمتنا !

(٢) نفسه ٣٥٠-٣٥١

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩

ولقد وافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - في أثناء ولايته - على أن يتولى علي والعباس إدارة « فذك » على القواعد نفسها التي أديرت عليها في عهد النبي ثم في عهد أبي بكر ، لكنهما لم يتفقا ، وجاءا يختصمان إلي عمر فقال لهما : « أتريدان أن أدفع لكل واحد منكما نصفاً ؟ أتريدان مني قضاءً غير ما قضيت به بينكما أولاً ؟ فلا والله الذي يأذنه تقوم السماوات والأرض لا أقضى بينكما قضاءً غير ذلك ! فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي أ كُفَمَاهَا » (١)

وقد أورد ياقوت الحموي هذا الخبر ، ثم تتبّع ملكية « فذك » حتى عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (٦٤-١٠١ هـ) الذي آلت إليه ، فردها إلى الوضع الذي كانت عليه في عهد النبي ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم علي (٢) .

وفهم من هذا أن علياً رضي الله عنه لم يستغل سلطته كأمر للمؤمنين لمدة أربع سنوات وبضعة أشهر ليعيد تلك الضيعة إلى ملكية ورثة فاطمة رضي الله عنها . ومن هذا قد نفهم أنه رضي الله عنه قد تأكد من صحة الحديث : « لا نُورث . ما تركنا فهو صدقة » ولا نشك في أنه من رواته . والشيعنة اليوم وعلى امتداد التاريخ يعتبرون أبا بكر ظالماً لفاطمة لأنه حرّمها من ميراثها الشرعي . فلماذا سكّت عليّ على ذلك الظلم بعد أن أصبحت بيده إزالته ؟

وهكذا تحولت الخلافات الاقتصادية ، المالية ، إلى الطعن في دين الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول لأنهم ظلمة استلبوا ميراث الزهراء في تركة أبيها ، كما استلبوا حق عليّ في الخلافة ، وأصبح سبّ الراشدين الظلمة تراثاً شيعياً عاماً . وإذا صحّ أن علياً لم يرد ميراث فاطمة لأولادها وهو قادر على ذلك لصح أنه كان ظالماً مثل الثلاثة السابقين عليه !! وهكذا أصبح ماسمى بـ « مظلومية » الزهراء بمثابة هوة شاسعة بين الشيعة وأهل السنة على امتداد التاريخ حتى الساعة . ونسى الجميع أنه إذا كان لفاطمة ميراث ومظلومية فإنه يجب أن يكون لكل واحدة من أزواج النبي ، وكل واحد من ورثته ، ميراث ومظلومية ، لأنهم جميعاً لم يرثوا !

وحاول بعض الباحثين الشيعة تكذيب حديث : « لا نورث . ما تركنا فهو

(١) الشافعي ؛ الأم ؛ ط الشعب ؛ ٤ / ٦٤ : فتح الباري ؛ كتاب الفرائض ؛ ج ١٢ ص ٦

(٢) معجم البلدان ؛ مادة فذك ؛ ٤ / ٢٣٨-٢٤٠

صدقة» بالاستناد إلى شرع مَنْ قبلنا من أنبياء الله ، وقد قال الله تعالى « وَوَرِثَ سَلِيمَانُ دَاوُدَ » فكيف يقال إن الأنبياء لا يورثون ؟

- وقد فَنَدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الادعاء فقال : « إن لفظ الإرث يستعمل في إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال » . وسليمان ورث عن أبيه النبوة والعلم ، لا المال ، فحديث : « لانورث » صحيح . ويضيف ابن تيمية قرينة أخرى وهي أن النبي ﷺ أبى إعطاء فاطمة خادماً ، كما هو ثابت في الصحيحين . فعنده أن هذا يبين مشروعية سلوك أبي بكر حين أبى أن يعطيها « فداكاً »^(١)

وفي اعتقادي أن مسألة « فداك » تسمى إلى علي رضي الله عنه وإلى فاطمة رضي الله عنها ، إذ أنها تظهرهما في صورة قوم حريصين على الدنيا وأعراضها ، وهو ما يتعارض مع صورة الزهاد التي عرفناها عنهما . ومن المحزن أن نجعل نحن المسلمين من قضية ملكية قطعة أرض زراعية باباً طويلاً ، عريضاً ، مريراً ، في تاريخ الخلاف بين فرق الأمة المسلمة ، بحيث يصبح من العسير أن نختصره أو أن نطويه أو نتجاوزه لكي تلتئم صفوف أمتنا المسلمة في مواجهة الحرب العالمية المعلنة عليها في كل أقطارها من قِبَل الولايات المتحدة والغرب والشرق جميعاً .

وعلى نقيض ما يقوله الشيعة ، لم تقل فاطمة إن أباه وهب لها « فداكاً » وإنما أخبرت أم أيمن بأن ذلك كان قصده . وهذا ما ذكره محمد حسين هيكل رحمه الله^(٢) . وهذا الكلام يهدم ركناً كبيراً من دعوى المظلومية .

● البذرة الثالثة للخلاف : سهم ذوى القربى

- وطالبت الزهراء - رضي الله عنها - بنصيبها في سهم ذوى القربى الذي نصت عليه الآية الكريمة ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

- قال لها أبو بكر : « بأبي أنت وأمي ، ووالد ولدك ، السمع والطاعة لكتاب

(١) منهاج السنة النبوية ؛ ١٦٩/٢ ؛ وابن حجر في فتح الباري ؛ كتاب الفرائض ؛ رقم

٦٧٣٠ - ١٢ ص ٨-٩

(٢) محمد حسين هيكل ؛ حياة محمد ؛ ص ٥١٤

الله ولحق رسول الله ﷺ وحق قرابته . وأنا أقرأ من كتاب الله الذى تقرئين فيه ، ولم يبلغ علمى منه أن هذا السهم من الخمس يُسَلَّمُ إليكم كاملاً .

قالت : «أفلك هو ولأقربائك ؟»

- قال : «لا ، بل أنفق عليكم منه ، وأصرف الباقي فى مصالح المسلمين»

- قالت : «ليس هذا حكم الله تعالى !»

- قال : «هذا حكم الله تعالى . فإن كان رسول الله عهد إليك فى هذا عهداً ، أو أوجبهُ لكم حقاً ، صدقتك وسلمته كله إليك وإلى أهلِكَ» (وهذا الرد يدحض اتِّهام أبى بكر بأنه لم يُصدِّق فاطمة !)

- قالت : إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلى فى ذلك بشيء ، إلا أنى سمعته

يقول - لما نزلت هذه الآية - : «أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى !»

- قال أبو بكر : «لم يبلغ علمى من هذه الآية أن أُسَلِّمَ إليكم هذا السهم كاملاً ،

ولكن لكم الغنى الذى يغنيكم ويفضل عنكم . وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح ، فأسألِيهما عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهما .»

فانصرفت فاطمة رضى الله عنها إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر ،

فقال لها مثل ما قال أبو بكر . فعجبت فاطمة رضى الله عنها من ذلك ، وظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه^(١)

الخلافاً هنا فى تفسير الآية . فإن الزهراء فهمت منها أن السهم كله من

حقها هي ، فى حين فهم أبو بكر وعمر أن لها منه نصيباً يغنيها ويفضل عنها ، والباقي يصرف فى مصالح المسلمين .

وبعد الانتصارات الرائعة للصدى رضى الله عنه ، واتساع الفتوح فى عهده ،

كثرت الغنائم والأنفال ، وزادت احتياجات الجيوش التى تقاتل أذعياء النبوة

والمرتدين . والآية تحدد الذين لهم الحق فى الاستفادة من هذا السهم ، مما يؤكد

صحة فهم أبى بكر وعمر لها . ولكن الشيعة يرون أنهما أخطأ ، وأن الزهراء كانت

صائبة فى اجتهادها^(٢) .

(٢) نفسه ، ص ٣٩١

(١) الميلانى ، قادتنا ، ج ٤ ص ٣٨٧

● أبو بكر الخليفة الأول

ثارت مجادلات عديدة بين أهل السقيفة ، انتهت بالبيعة لأبي بكر الصديق خليفة للمسلمين ، ثم شرع فوراً فى مواجهة أعاصير الردة فى اليمامة وعمان والبحرين ، وأرسل الكتائب لقمعها . وتوقفت المفاضلات بين الخليفة الأول وبين على بن أبى طالب الذى اعتقد أنه الأحق بالخلافة لكنه بايعه وانضم إلى وزرائه الكبار .

ولم تظهر الفرق الإسلامية إلا عند اختيار عثمان بن عفان للخلافة . بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وظهر بنى أمية . عندئذ ظهرت الروايات العديدة التى تفضل هذا أو ذاك .

لم يقل أبو بكر : أنا أفضل من عمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح ، بل قالها صريحة مدوية يوم السقيفة : «إِنِّى وَلِيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ !»

وتولّى عمر بن الخطاب المنصب بعد سنتين ونصف تقريباً ، بعهد من أبى بكر ، فعادت المفاضلات إلى الظهور على استحياء . وعندما اختار عبد الرحمن بن عوف عثمان نيابة عن السّنة من أهل الشورى عادت المفاضلات بقوة بين الخلفاء الأربعة ، وغضب على وأتهمه بالتحيز للأُمويين من أصهاره .

وبعد مقتل عثمان بايع الناس على بن أبى طالب . لكن الأمور لم تستقر له ، لأن معاوية والى الشام انشق عليه . بحجة المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان . ولم يكن ذلك بوسع على ، فأشاع معاوية أن علىاً يحمى قتلة عثمان !

- فى ذلك المناخ الملتهب ازدهرت المفاضلات بين «علي» و«أبى بكر» ، واختلط الحابل بالنابل ، والأخبار الزائفة بالأخبار الصحيحة . وبرع بعض المزورين لحساب على ، وآخرون لحساب أبى بكر ، ولم يكن الإمامان بحاجة إلى شىء من ذلك ! وفى ذلك المناخ ظهرت الشيعة - أنصار على - كحزب دينى وسياسى .

(١) الميلاى ، قادتنا جء ص ٣٩١

وفى اعتقاد الشيعة أن مسألة الإمامة هي: «أشرف المسائل التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة . وهى أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود فى الجنان والتخلص من غضب الرحمن»^(١) وعند أهل السنة هذا خطأ بل هو كفر ! «فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة . وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام»^(٢) ولو كانت مسألة الإمامة أشرف المسائل لذكرت فى القرآن الكريم غير مرة ، ولكن القرآن مملوء بمسائل أخرى ، فكيف يكون القرآن مملوءاً بغير الأهم والأشرف؟ «وإن أصول الدين عند الإمامية أربعة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة» فكيف تكون الإمامة أشرف من الأصول الأخرى؟»^(٣)

● من الأفضل ؟

وقد كان الغرض الثابت للمجادلات بين الإمامية والفرق الأخرى هو إثبات أحقية على بن أبى طالب فى منصب الخلافة ، بعد النبى ﷺ . وقد تراكت الأخبار والشهادات فى التراث الإسلامى بعضها يُعلَى من قدر أبى بكر وبعضها يُعلَى من قدر على ، دون تمييز بين المناقب والمآثر التى يجب أن يكون لها وزن فى التقدم لمنصب الإمامة ، وما ليس لها دخل فى ذلك .

-والآن ، يجب على الباحث الحديث أن يتوقف أمام ذلك التراث ، ويفحص بكل موضوعية ممكنة مواقف الخلفاء الراشدين . ومن البدهى أننا لن نستطيع أن نغير وقائع التاريخ ونرتب الخلفاء ترتيباً مغايراً ، لكننا نستطيع أن نصحح أفكارنا ، وتبعاً لذلك نخفض من حدة الخلاف بين أبناء الأمة .

فكون أبى بكر أصهر لرسول الله ﷺ ، فذلك شرف عظيم له إذ صارت ابنته أم المؤمنين ، وقربته من زوجها . لكن هذا لا يمكن أن يُحسب فى الميزان عند الاختيار لمنصب الخليفة . وقد تزوج النبى ﷺ تسع نساء . فلم يُعتبر ذلك مسوغاً لمطالبة أحد من أصهاره باعتلاء منصب الخلافة الرفيع ، لا بعد وفاته عليه السلام ولا بعد وفاة أبى بكر أو بعد مقتل عمر وعثمان .

(١ ، ٢ ، ٣) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ، ج١ ص ٢٣ ؛ ص ٣٠

وهذا يصدق على عمر بن الخطاب أيضاً . فإذا كان تولي المنصب بعهد من
أبي بكر ، فإن أبا بكر لم يقل للناس إننى اخترته لأنه صهر رسول الله وابنته أم
المؤمنين !

- وأما عثمان فقد حظى بالزواج بينتین من بنات النبی ﷺ . ولكن ذلك
الإصهار لم يكن هو الذى أهله للمنصب بعد وفاة عمر .

ومرة أخرى ، هذا الكلام يصدق على علي بن أبي طالب . فزواجه من
فاطمة الزهراء رضی الله عنها شرف عظیم له ، لكن ذلك لم يكن هو السبب الذى
أهله للخلافة بعد مقتل عثمان .

ويجب أن نقول مثل هذا الكلام عن أسباب عديدة للتفضيل ذكرها أنصار
أبي بكر وعلي . ومن ذلك مثلاً كثرة الصلاة ، والصدقة .

وتجاوز كثير من المتحمسين حدود المشروع والمعقول جميعاً ! فهذا كاتب
معاصر يكتب على الإنترنت أن حذيفة بن اليمان رضی الله عنه (أحد كبار
الصحابة الذين وقفوا فى صف علي) : « كان يعلم بما كان وما يكون إلى أن تقوم
الساعة »^(١)

ونحن نعلم أن علم الغيب لله وحده ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ
أَحَدًا﴾ * إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿
[الجن: ٢٦-٢٧] وذكر المتحمسون لعلي أنه لما برز إليه «مرحب» اليهودى يوم
خيبر ضربته على ضربة واحدة فشقه طولاً ، وشق الفرس عرضاً ، ونزل السيف فى
الأرض ذراعين أو ثلاثة !

والحق أن بطولة علي وشجاعته لا تحتاج إلى هذه المبالغات بحال ، وربما
أضيرت بسبب ذلك لأن القارئ المثقف سوف يتشكك فيها وفى الأخبار الصادقة
التي تحدثت عنها .

(١) السيد صدر الدين القباجي ؛ تاريخ التشيع الفكرى والسياسى ؛ ص ٥٥

ويستشهد بعضهم على تفضيل أبي بكر بقول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر»^(١) فما صلة هذا بالترشيح للخلافة؟ لا صلة غالباً، وإنما هي على الأرجح حاجات الدولة الناشئة التي تتطلب التيسير على وزير النبي في الاتصال به مع توفير الهدوء الذي لم يكن ليتحقق مع وجود أبواب كثيرة للمسجد يدخل منها الناس ويخرجون. ولنتذكر أن أبا بكر كان يدخل على ابنته عند رسول الله لا على امرأة غريبة، فلا داعى لإغلاق الباب الذي يصل بينه وبين النبي ﷺ.

- وأمر رسول الله ﷺ أيضاً بترك باب علي مفتوحاً. ولا دخل لهذا بالترشيح للخلافة، ولكنه إشارة إلى وحدة الأسرة بين البيتين. وهل كان يمكن أن يُسدَّ باب ليمنع الزهراء رضی الله عنها من رؤية أبيها ﷺ في كل حين تشاء؟

المطلوب إذن التمييز بين الأخبار والحقائق التي توحى بالترشيح للخلافة وبين الأخبار العديدة التي تتحدث عن صلة النبي ﷺ بصحابته الكرام رضی الله عنهم جميعاً.

في اعتقادي أن الذي جمع الأمة حول أبي بكر عدة أسباب أساسية.

- فقد كانت لأبي بكر مكانة مرموقة بين القرشيين قبل الإسلام. يقول ابن هشام: «وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه مُحبباً سهلاً. وكان أنسبَ قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروف. وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه» «فأسلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله»؛ «فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ»^(٢)

- فهؤلاء هم أعلام الصحابة وكبار رجالات قريش في الجاهلية ينبذون عبادة الأصنام، ودين الآباء والأجداد، ويقبلون الدين الجديد الذي أُنقذهم به أبو بكر.

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٥٠-٢٥١

(٢) فتح الباري: كتاب فضائل الصحابة - رقم ٣٦٥٣ - ٧/ ١٢

فهذه إذن شخصية قيادية فذة قادرة على خدمة الدعوة في تلك الفترة الباكرة من انطلاقها . فليس المهم أن يكون ترتيب أبي بكر في الدخول في الإسلام الأول أو الثاني أو الثالث ، ولكن المهم هذه المكانة المرموقة المؤثرة في نصر الدين الجديد . وفضلاً عن هذا كان لأبي بكر السبق في تصديق النبي ﷺ في فجر الدعوة وعلى امتداد مراحلها . وفي هذا يقول النبي ﷺ : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ! وقال أبو بكر : صدق ! وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبي ؟ » (مرتين) ^(١) ولم يستحق أبو بكر لقب الصديق إلا من هذا اليقين التام بصدق النبي ﷺ ومن بذله المال والمجد لنصرته . وقد كان موقفه في مواجهة منكرى الإسراء حلقة بارزة وباهرة من ذلك اليقين بصدق محمد ﷺ ، وقد ألقمهم حجراً بكلمته الخالدة : « إن كان قال فقد صدق ! »

ويشهد له النبي ﷺ بالتضحية بالمال فيقول : « إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ، إلا خلة الإسلام » ^(٢) وفي رواية أخرى : « ولكن أخى وصاحبي » ^(٣) وفي حديث آخر قال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإن خليلي أبا بكر » ^(٤) وقد منح النبي ﷺ شرف الصحبة في الهجرة لخليله أبي بكر . وقصة الهجرة معروفة . وقد كان أبو بكر يتجهز للهجرة كسائر المسلمين فقال له النبي : « على رسلك ! فإني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ، وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمّر أربعة أشهر ^(٥)

(١) فتح الباري : كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٦٦١-٧/١٢

(٢) نفسه ؛ رقم ٣٩٠٤ (٣) نفسه ؛ رقم ٣٦٥٦

(٤) طبقات ابن سعد ١/٣٢٠

(٥) مسند أحمد (الفتح الرباني) ؛ رقم ١٤٤

إِذَنْ : كان أبو بكر هو الرجل الثقة الجدير بصحبة رسول الله ﷺ في رحلة الهجرة إلى يثرب بكل ما تتطلبه من استعدادات ومتطلبات وتضحيات . وبعد أربعة أشهر جرت فيها أحداث كثيرة انطلق الرجلان إلى « غار ثور » حيث مكثا ثلاث ليالٍ . وحاول المشركون العثور عليهما ، وذهب بعضهم إلى « غار ثور » واقتربوا منهما جداً حتى قال أبو بكر: « لو أن أحدَهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ! » فقال عليه الصلاة والسلام : « يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ » (١) وفي تصوير ذلك الحدث العظيم يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠]

هذه الصحبة الشريفة هي التي أخذت في الحسبان حين فكر المسلمون في بيعة الرجل خليفة لنبيهم .

● نقد شيعي لأبي بكر

لكن غلاة النقاد الإمامية لا يعترفون بأية منقبة للصديق رضي الله عنه ، بل يقلبون كل منقبة إلى منقصة ! ولهم في هذا التزوير شناعات مزرية ! من ذلك أن مكارم الشيرازي يصور صحبة أبي بكر للنبي ﷺ في رحلة الهجرة على أنها تثبت جبن أبي بكر! فيقول المزور الشيرازي: « وأما أبو بكر فقد خرج مع النبي الأكرم ﷺ ، وتخلص من الخطر ، ولجأ إلى غار ثور . وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكة في أثر النبي ، اصفر لونه ، وملاً الخوف والرعب قلبه ووجوده ، بحيث يمكن إدراك ذلك بنظرة بسيطة إلى وجهه . ولهذا بدأ النبي ﷺ بتسليته ليزيل بعض الوحشة والخوف الذي سيطر عليه » (٢)

ونحن نتساءل : من أين جاء الكاتب بهذا الخبر؟ وهل خرج أبو بكر إلى غار ثور من تلقاء نفسه ، أو هرباً من الخطر ، أم باختيار النبي له دون سائر الصحابة ؟ وهل اختاره النبي لثقتة فيه أم لأنه جبان رعديد ؟ وهل رأى الكاتب المزور وجه أبي بكر ؟ هل عثر على وَصْفٍ وَصَفَهُ بِهِ النبي ، الذي لم يره ساعتها غيره ؟

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ؛ كتاب فضائل الصحابة .

(٢) آيات الولاية في القرآن ؛ ص ٢١٦

لا جواب عند ذلك الكاتب الكاذب الدعي . وأما الحقائق المسجلة في السيرة النبوية فتقول إن الصديق دخل غار ثور أنبل دخول النبي لينظر إليه ضبع أو حية ، ليقى رسول الله ﷺ بنفسه . وفي أثناء الرحلة كان أبو بكر إذا خاف الكمين على النبي سبقه ليقيه خطره ، وإذا خاف الطلب تأخر عنه ليكون له ظهيراً .^(١) وإن مواقف الصديق في مواجهة أدعياء النبوة والمرتدين لهي الدليل الساطع على شجاعته ، وعلى افتراء ذلك الناقد الكذوب !

● أبو بكر يصلي بالناس

ومن أهم الأدلة على استحقاق أبي بكر بخلافة رسول الله ﷺ أمره له أن يصلي بالناس حال مرضه . وقد ورد الخبر بهذا الأمر بعدة طرق .^(٢)

فعن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها قالت : «أذن النبي ﷺ بالصلاة في مرضه فقال : مرؤا أبا بكر يصلي بالناس» فقلت : يارسول الله . إن أبا بكر رجل رقيق لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ! قال : «إنكن صواحب يوسف ! مرؤا أبا بكر فليصل بالناس ، قُرب قائل ومتمنُّ ويأبى الله والمؤمنون»^(٣)

- ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إنه كان في القوم من هو أقرأ من أبي بكر ، وإنما أراد النبي الدلالة على ترشيحه للخلافة .^(٤) ولقد سأل عمر بن عبد العزيز رضی الله عنه الحسن البصرى رحمه الله : «هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر ؟» قال : نعم ، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه ! لهو أنقى من أن يتوثب عليها ! وقال ابن المبارك - رحمه الله - : «استخلفه هو أمره أن يصلي بالناس ، وقد صلى بالناس طوال مدة مرض النبي الأخير وصلى خلفه كبار الصحابة رضی الله عنهم .^(٥)

(١) سيرة ابن هشام ؛ ج ١ ص ٢٨٦

(٢) طبقات ابن سعد ؛ ١٤ / ٣٠٨

(٣) نفسه ؛ ١٤ / ٣١٣

(٤) ابن الجوزى ؛ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ص ٢٠٩

(٥) منهاج السنة النبوية ؛ ١ / ١٣٨

ولكن لماذا لم يكتب لأبي بكر عهداً بالخلافة ؟

يجيب ابن تيمية رحمه الله على هذا السؤال فيقول: « والتحقق أن النبي ﷺ دَلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمر متعددة من أقواله وأفعاله ، وأخبر بخلافته إخباراً ، راضٍ بذلك حامدٍ له ، وعزم علي أن يكتب بذلك عهداً ، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك »^(١)

لكن ابن تيمية لم يورد الدليل على أن النبي ﷺ « عزم » على كتابة عهد ! ولا دليل على ذلك غير الخبر الصحيح . أما أن النبي قد دَلَّ المسلمين على استحقاق أبي بكر بخلافته فتشهد على صحته أخبار عديدة ربما أهمها على الإطلاق إصراره على أن يؤم الناس طوال فترة مرضه الأخير دون غيره من الصحابة .

وفي اعتقادي أن النبي ﷺ أراد أن يختار المسلمون إمامهم بأنفسهم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] وألا يكون للإمام تحديد اسم خليفته بغير رضا الأمة .

● شرط المشيخة

والأمة لا تباع عن رضا إلا رجلاً تعرف فيه القدرة على قيادتها وفق تعاليم دينها ، وله في قيادتها خبراته الطويلة ، العملية ، والسياسية والإدارية . ويدخل في هذا « السن » أو « المشيخة » ، بحيث لا يُقبل للترشيح للخلافة إلا ذوى الأسنان . ولقد وجدنا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه القائد البطل لجيوش المسلمين فى اليرموك يحاول لَفَتَ نظر علي بن أبي طالب إلى هذا الشرط ويقول: « يا أبا الحسن ! إنك حَدَثُ السِّنِّ ، وهؤلاء مشيخة قريش ، قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطباعاً به . فسَلِّم له الأمر وأرض به ، فإنك إن تعش ويطل عمرك ، فأنت لهذا الأمر خَلِيقٌ وعليه حقيق ، فى فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك »^(٢) وقد طال عمر علي واكتسب خبرات القيادة وصار إماماً عظيماً .

ويلاحظ عباس محمود العقاد هذا الشرط فى تفسير بيعة المسلمين لأبي بكر دون علي فيقول إن علياً عند وفاة النبي لم يكن من مشيخة الصحابة التى تؤول

(١) نفسه . (٢) تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص ١٦١

إليها الرئاسة بداهة بين ذوى الأسنان ممن مارسوا الشورى والزعامة فى حياته عليه السلام ، لأنه كان يومئذ فتى يجاوز الثلاثين بقليل ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان قد لبثوا فى جوار النبى بضع عشرة سنة قبل ظهور علي فى الحياة العامة ، وهم يشيرون على النبى ويخدمون الدين ويجمعون الأنصار ويُدان لهم بالتوقير والولاء»^(١)

وشرط «الشيخة» تفرضه طبيعة المنصب بما يتطلبه من الخبرات ، ومن التوقير ، كما تفرضه طبيعة الأمة وتقاليدها . ومعروف أن العرب فى جاهليتهم وإسلامهم كانوا يقدمون ذوى الأسنان على من هم أصغر منهم ، ممن قد يكونون «أفضل منهم وأقدر . وفى هذا يقول ابن تيمية : «إنه لا بد من قبول الأمة كشرط للخلافة» . ويشرح هذا الشرط بقوله إنه : «لوخطب امرأة رجلان أحدهما أفضل من الآخر ، لكن المرأة تكرهه (أى تكره الأفضل) ، وإن تزوجت به لم تطعه بل تخاصمه وتؤذيه ، فلا تنتفع به ولا ينتفع بها ، والآخر تحبه ويحبها ، ويحصل به مقاصد النكاح ، أفليس تزويجها بهذا المفضول أولى باتفاق العقلاء ، ونص من ينص على تزويجها بهذا أولى من النص على تزويجها بهذا ؟ فكيف يضاف إلى رسول الله ما لا يرضاه ظالم أو جاهل ؟»^(٢) (يقصد الزعم بأن النبى أوصى بالخلافة لعلي)

وتوكيداً لصحة شرط الشيخة نذكر أن علي بن أبى طالب ، بعد حوالى عشرين سنة من يوم تولى أبى بكر الخلافة ، كان قد اكتسب خصائص الشيخة ، من خلال مشاركاته الإيجابية القيادية مع الخلفاء الثلاثة الأول ، ولذلك وجدنا أهل الشورى يهرعون إلى داره بُعَيْدَ مقتل عثمان ، يطلبون البيعة له . ومعنى هذا بدهى أعنى أن المفضول ، بسبب حداثة سنه وقلة خبراته ، يصبح الأفضل بعد أن تتاح له الفرصة والوقت اللازمين لاكتساب خصائص الشيخة القيادية القادرة على نبيل احترام الأمة . وقد كانت كثافة مشاركة أبى بكر وعمر للنبي ﷺ ملحوظة ومشاهدة ، فيقول علي : «إني كنت أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول : فذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»^(٣) فكانت فرصة أبى بكر وعمر واسعة لِيُنْهَلَا من حكمة النبى ﷺ وتعليمه ، نظراً

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ ١ / ١٤٨

(١) عبقرية علي ؛ ص ١٠٠

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٠٣-٢٣/٩٢

وعملاً ، منذ فجر الدعوة ، حتى لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، وقد بلغت ثلاثة وعشرين عاماً كاملة . أما علي فكان في سنّ لا تسمح له بتلقى دروس القيادة العليا إلا في السنوات العشر الأخيرة من حياة النبي في المدينة ، أما الفترة المكيّة فقد تلقى فيها التربية الدينية والأخلاقية والعسكرية التي أهّلته للبطولات القتالية المشهورة .

هذه هي الخصائص الفريدة التي أهّلت أبا بكر الصديق لمنصب خلافة النبوة : المكانة المرموقة ، واليقين المطلق بصدق النبي ، والتضحية بالمال والجهد والوقت ، والصحبة الكثيفة الحميمة ، والتفويض لإمامة الصلاة ، والمشيخة الحكيمة الوفورة .

ولم تمض أيام حتى أدرك المسلمون أنهم بايعوا الرجل الجدير بالمنصب . فقد كان ظهور الأنبياء الكذّبة ، ورِدّة بعض القبائل ، وامتناع البعض عن أداء الزكاة ، الاختبار الأول للقيادة الجديدة . وظهر العزم والحسم في أجلى صورِهِ ، ولم يتردد أبو بكر لحظة في إعلان الحرب ضد المرتدين ومانعي الزكاة . وكان الوضع ملتبساً في شأن مانعي الزكاة خاصة ، لأنهم لم يعلنوا رِدَّتَهُمْ ، وبَقُوا على ما أسلموا عليه . لهذا ظن عمر بن الخطاب أنه لا يجوز قتالُهُمْ . لكن الخليفة العظيم لم يتردد في الأمر وقال : «والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة جق المال ! والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهُمْ على منعه» (١) لقد كان تمرداً يندرج بانهميار الأمة (٢) وتَبَذَّ سُنَّةَ نَبِيِّهَا والتنصل من أحكام قرآنها . ويقول «النووي» : إن موقف الصديق يدل على علمه ، وعلى شجاعته ، وإن ثباته في وجه ذلك الموطن المخرج هو أكبر نعمة أنعمها الله تعالى على أمته بعد رسول الله ﷺ . (٣) وقال الدكتور ضياء الدين الريس : «إن مواجهة المرتدين من أعظم الأعمال في تاريخ الإسلام» (٤) وهذا حق لا مبالغة فيه .

(١) مسلم بشرح النووي ؛ ٢٠٧/١

(٢) تاريخ الطبري ؛ أخبار سنة ١١هـ ٣٠١/٣

(٣) نفسه ؛ الشرح ؛ ٢١٢-٢١١/١

(٤) الإسلام والخلافة في العصر الحديث ؛ ص ٣١٥

● علم الصديق

وكان علم أبي بكر الواسع الدقيق بالإسلام سنداً له في قيادة الأمة وانقياد كبار الصحابة لفتاواه وثنائهم عليه . فيذكر ابن تيمية أن: «الصحابة في زمن أبي بكر لم يكونوا يتنازعون في مسألة إلا فصلها بينهم أبو بكر ، وارتفع النزاع ، فلا يُعرف في زمانه مسألة واحدة تنازعوا فيها إلا ارتفع النزاع بينهم بسببه»^(١) ومن تلك المسائل : تنازعهم في وفاة النبي ﷺ ، وفي مدقنه ، وفي ميراثه ، وفي تجهيز جيش أسامة ، وفي قتال ما نعى الزكاة . وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر»^(٢) بعد أن تخرجا من مدرسته !

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : «والله الذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله !»^(٣) يشير بهذا إلى تفشى حركة الردة بين القبائل ، وحتى مكة نفسها !

ويقرر الإمام النووي ، شارح صحيح مسلم ، رحمه الله ، أن وقفة أبي بكر الخالدة ضد المرتدين ومدعى النبوة ومانعى الزكاة : «أدل دليل على شجاعة أبي بكر رضى الله عنه ، وتقدمه في الشجاعة والعلم على غيره . فإنه ثبت للقتال في ذلك الموطن العظيم الذى هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط رضى الله عنه من العلم ، بدقيق نظره ، ورياسة فكرة ، ما لم يشاركه في الابتداء به غيره . فلهذا وغيره ، أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله ﷺ»^(٤)

● اتهام شيعى كاذب !

وبسبب اعتقاد الشيعة الإمامية أن أبا بكر حرم علياً من حقه فى الإمامة ، وجدناهم يكتنون كراهية لاحد لها لأبى بكر ، ويحاولون النيل منه بكل الطرق غير المشروعة !

(١) الفتاوى الكبرى ؛ ١ / ٣٦٨

(٢) الفتح الربانى ؛ أبواب ما جاء فى خلافة الخلفاء الراشدين رقم ١٢٨-٢٣ / ٥٥

(٣) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ج ٦ ص ٢٩٨

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ؛ ج ١ ص ٢١١-٢١٢

- وهذا مثال صارخ وفاحش لكاتب كذاب يزعم أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة كانوا يشربون الخمر في بيت أبي طلحة ! ويخدع القارئ الطيب فيحيله على كتاب «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» للإمام الحافظ ابن حجر ! وليس من المرجح أن يراجع القارئ ذلك الخبر في «فتح الباري» الذي لا يقتنيه إلا قلة من العلماء . وكان من الطبيعي أن أراجع أنا ذلك الاتهام الشنيع في «فتح الباري» . وكما توقعت لم أجد حرفاً واحداً عن ذلك المجلس الذي شرب فيه كبار الصحابة الخمر في بيت أبي طلحة !

فنحن إذن بإزاء كاتب كاذب مزور ، بلغت به الجسارة اتهام الصديق والفاروق وأبي عبيدة بشرب الخمر !^(١)

وعلى هذا أقول إن إعادة نشر كتاب «ليالي بيشاور» للشيرازي هو عمل عدائي لتيار التقريب بين الشيعة والسنة . إنه إعادة إنتاج مذاهب الغلاة ، وواجبنا دفن تلك الأكاذيب لا إعادة نشرها .

● على يرضى

وقد سئل ابن عمر رضى الله عنهما : «مَنْ كَانَ يَفْتَى فِي النَّاسِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، مَا أَعْلَمُ غَيْرَهُمَا»^(٢)

ولا ريب أن علي بن أبي طالب لم يكن راضياً بإمامة أبي بكر ، كما سبق أن بينا . لكن أخباراً عديدة تشير إلى زوال ذلك الغضب الذي شعر به عند تقلد أبي بكر المنصب دونه . فيبدو لى أن مرور الأيام وحُسن معاملة أبي بكر لعلي ولأولاده قد غيرت موقفه من خلافة أبي بكر أولاً ثم عمر من بعده . وقد انخرط علي في الحياة العامة وقيادة الأمة في عهد الخلفاء الأول الثلاثة . إن هذا هو ما يفسر الأخبار العديدة عن تقدير علي لأبي بكر وعمر ، من ذلك مثلاً ما روى عن أبي جحيفة قال : سمعت علياً رضى الله عنه يقول : ألا أخبركم بخير هذه

(١) ليالي بيشاور ؛ للشيرازي / ص ٣٢٩

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٤٦٨ / ٢

الأمّة بعد نبيها؟ أبو بكر! ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمّة بعد أبي بكر؟ :
عمر رضى الله عنه^(١) وقد وردت روايات أخرى في مصادر مختلفة بهذا
المعنى^(٢). وهى تدل على سموّ خلق علي وكبر نفسه وصفاء قلبه .

- وقد صلى علي يوماً خلف أبي بكر صلاة العصر ، ثم خرجا معاً ، فرأى
أبو بكر الحسن بن علي يلعب مع الصبيان ، فحمله على عاتقه وقال : بأبي !
شبيه بالنبى لا شبيه بعلي! وعلي يضحك! ^(٣) هكذا حلّت المودة بين الإمامين
العظيمين .

وورث أولاد علي وأحفاده تقديره لأبي بكر . فيذكر أن الإمام الباقر رضى
الله عنه كان يستشهد بأعمال أبي بكر وعمر رضى الله عنهما . من ذلك أن
عروة بن الزبير سأله عن حلية السيوف فقال : لا بأس بها . قد حلّى أبو بكر
الصدى رضى الله عنه سيفه ، قال : قلت : وتقول : الصديق!؟ قال : فوثب وثبة ،
واستقبل القبلة ، ثم قال : « نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له
قولاً فى الدنيا والآخرة! » ^(٤)

● حب أهل السنة لعلي وبنيه

وعلى الرغم من اتساع شقة الخلاف بين أهل السنة والشيعة فى الأصول
والفروع ، واندلاع المعارك بين علي ومعاوية ، واضطهاد بنى العباس لأبناء علي ،
وعلى الرغم من معارك الفاطميين والأيوبيين ، والعثمانيين والصفويين ، فقد ظل
حب أهل السنة لعلي ولآل بيت النبوة ينمو مع الزمن ، ولا تنال منه تلك
العواصف العنيفة قيد أمثلة . ويخطئ كل من يزعم أن أهل السنة أيدوا معاوية!
أجل؛ بعض أهل الشام انخدعوا بتأويلات الأمويين عن مقتل عثمان وإيواء علي
لقتلته ، ولكن تلك الفئة لا تمثل أهل السنة . إنهم أنصار معاوية وبنى أمية . وأهل
السنة على امتداد التاريخ كانوا مع الحسن والحسين ضد معاوية وضد يزيد

(١) الفتح الربانى ؛ رقم ١٢٩ ؛ ص ٥٦/٢

(٢) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ ص ٢٦١

(٣) فتح البارى ؛ كتاب المناقب ؛ رقم ٣٥٤٢ - ٦ / ٥٦٣

(٤) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ فقرة رقم ١٦٩

وعامة ملوك بني أمية ، باستثناء الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه ، الذي حاز التقدير والحب من جميع أهل السنة والشيعه على
السواء . ويسلم الجميع بجدارة عمر بن عبد العزيز بلقب « الخليفة الراشد » ، لكن
أحداً لم يسمح بإطلاق لقب الخليفة الراشد على معاوية أو على أى حاكم أموى
آخر ، لأنهم كانوا مبتزين لآخفاء شرعيين . (١)

ولهذا دهشت حين قرأت لأحد الكتاب الشيعة المعاصرين مقالاً يزعم فيه أن
أهل السنة زوروا الخبر عن مبيت عليّ مكان رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، فقالوا إن
عليّاً «بال» فى فراش النبي بدلاً من «بات» فيه !

- وشعرت بالاشمزاز والغضب ، لا لانهام أهل السنة زوراً ، ولكن للبعث
بسيرة النبي ودور علي الشجاع فى تعريض نفسه لخطر القتل . وراجعت الخبر فى
كل ما أعرف من مصادر السيرة والسنة والتاريخ فلم أعثر على لفظ «بات» ولا
على لفظ «بال» فى أى مصدر !

إن سيرة على بن أبى طالب مسجلة فى مصادر أهل السنة جميعاً ودون
استثناء بكل تقدير وحب واحترام ، لأن شخصية ذلك الخليفة الراشد المجاهد
تستحق ذلك . وأخبار على منذ صباه فى بيت النبي ﷺ مسجلة ، مفصلة ،
مشروحة ، فى كل مصادر تاريخهم ، ويفخر بها كل مسلم غيور على الإسلام .

لكن مواقف بعض المؤلفين الشيعة من الخلفاء الثلاثة الأول كانت سلبية ، ولا
تتفق مع موقف إمام الشيعة الأول رضى الله عنه ، فاستمرت أساليب التجريح
والتكفير والسباب ، لدى الغلاة من الشيعة خاصة .

وفيما يلى أعرض لبعض المآخذ الشيعية التى ترددت حول مشروعية بيعة
أبى بكر الصديق ، وهو موضوع هذا الباب من دراستى هذه ، وأدع بقية المسائل
لتناقش فى أبوابها .

● ألم يجمع المسلمون على بيعة أبى بكر ؟

قال مؤلف كتاب: «منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة» فيما نقله عنه ابن تيمية:

(١) هذا رأى الشافعى ؛ انظر « آداب الشافعى ومناقبه » ص ١٩١

« إن بيعة أبي بكر لم تكن موضوع إجماع فإن جماعة من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة من أكابر الصحابة : كسَلْمَان وأبى ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عباد وزياد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص . . وبنو حنيفة كافة ، ولم يحملوا الزكاة إليه ، حتى سَمَاهم أهل الردة ، وَقَتَلَهُمْ ، وَسَبَّاهُمْ ، فَأَنكَرَ عمر عليه ، ورد السبايا أيام خلافته »

ويرد ابن تيمية على هذا النقد فيذكرنا أولاً بأن بنى حنيفة لم يكونوا من أهل السقيفة ولا من أهل المدينة ، بل هم من أهل اليمامة الذين ارتدوا واتبعوا مسيلمة الكذاب ، فقَاتَلَهُمْ أبو بكر بَعِيدَ تولية الخلافة .

- وأما الذين امتنعوا عن إيتاء الزكاة فكانوا من غير بنى حنيفة .

- ولم يعترض عمر بن الخطاب ، ولا أى صحابى على قتال مسيلمة الكذاب وأتباعه ، لكن اشتبه عليه الأمر فى قتال مانعى الزكاة ، ثم لم يلبث أن تبين صحة موقف أبى بكر ، وأَيَّدَهُ .

ولم يتأخر عن بيعة أبى بكر يوم السقيفة إلا سعد بن عباد والحباب بن المنذر والأسباب معروفة من أخبار يوم السقيفة ، والرد عليها أعلن يومها . (١)

ولم يتحرك أسامة بن زيد وجيشه إلا بعد أن بايعوا أبا بكر ، وتردد علي بن أبى طالب وبعض بنى هاشم ، لكنهم بايعوه بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، ووقف علي دائماً سنداً قوياً لأبى بكر .

ويقرر ابن تيمية أنه : « لا يشترط فى الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة والجمهور الذى يقام بهم الأمر ، بحيث يمكن أن تقام بهم مقاصد الإمامة » (٢)

ومن البدهى أن الإجماع الكامل الشامل فى مسألة كبيرة كالإمامة لا يمكن أن يحدث ، وكَسَوَفَ يعترض بعض الناس ويرفضون ، وسوف يرشح بعض الأفراد أنفسهم وربما أيدهم بعض رجال قبائلهم . والمهم أن يبادر القادة الكبار والزعماء وأهل الرأى والشورى بالبيعة ، وهم الذين يُسَمُّون « أهل الشوكة » عندئذ تنعقد الإمامة ، لأن المرشح يكتسب القوة والقدرة من تأييدهم فى القيام بمهامه ، ثم

(١) راجع ص ٢٠ من هذه الدراسة . (٢) منهاج السنة النبوية ٤ / ٢٢٧

يتتابع الناس على البيعة ، إلا المعارضون . ونحن نرى اليوم في الدول الديمقراطية كيف يفوز المرشح على منافسه بعدد صغير من الأصوات ، ولا يطعن أحد في مشروعية رئاسته .

-ومن المعروف للكافة أن بيعة علي بن أبي طالب بالذات كانت موضع خلاف كبير ، وأن الرافضين لخلافته أكثر كثيراً من الذين خالفوا بيعة أبي بكر .

وبعض الصحابة اعترض على العهد لعمر . واعترض بعضهم على البيعة لعثمان ، وكان علي أكبر المعارضين . فهذا هو الوضع الطبيعي لأحوال الناس حين ينظرون في مثل هذه المسائل الكبرى وينحسم الموقف عادة ، وتتم البيعة للإمام ويتمتع بالمشروعية الإسلامية ويمارس واجباته . فالنقد الموجه إلى بيعة أبي بكر وسائر الخلفاء الراشدين لا أساس له وإنما أملتته الأحقاد والضغائن والجهل بحقائق الأمور .

● بيعة أبي بكر لم تتم على رأى صحيح

ويقول المؤلف الشيعي لكتاب « منهاج الكرامة » إن بيعة أبي بكر لم تقع على رأى صحيح ، وهو يستشهد على صحة نقده بقول عمر بن الخطاب إن بيعة أبي بكر كانت فلتة .

والحق أن عمر بن الخطاب قال يوماً في خطبة له : «إنه قد بلغنى أن قائلاً منكم يقول : والله لو مات عمر بايعتُ فلاناً ! فلأ يَغْتَرُّ امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ! ألا وإنما كانت كذلك ، ولكن قد وقى الله شرها . وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر (١) . من بايع رجلاً - من غير مشورة المسلمين - فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تغرة أن يُقتل . »

-ويشرح ابن تيمية كلام عمر فيقول إن بيعة أبي بكر تمت دون استعداد ، ولأن أبا بكر كان متعيناً لها ، لم تكن هناك حاجة لأن يجتمع الناس ، فكلهم يعلم أنه الأحق بها . فمن بايع رجلاً دون مشورة المسلمين استحق القتل ! لأن ذلك

(١) هذا كناية عن مكانة أبي بكر الفريدة .

يفضى إلى الفتنة . وعمر لم يسأل الله الوقاية من شرها ، لأنها كانت خيراً للجميع وقد مضى عليها زمان طويل ، بل سأل الله الوقاية من الفتنة في مستقبل الأيام .^(١)
- حقاً ، بيعة أبي بكر كانت نعمة ، لأن أخطار الردة كانت تهدد الدولة في لحظة خطيرة فارقة - لحظة وفاة النبي ﷺ - وكانت فترة حُكْمه ، بشهادة الحكماء من رجالات الشيعة الكبار ، فترة ازدهار ، وعدالة ، واستقرار وتمكن ، وفتوحات عظيمة .

وقد تبرا الإمام جعفر الصادق - السادس في سلسلة الأئمة الاثني عشر - والذي ينتسب من جهة أمه إلى أبي بكر ، من كل المزاعم التي ردها غلاة الشيعة ضد أبي بكر وسائر أصحاب رسول الله ﷺ .^(٢) ولا تزال هذه المواقف الصائبة لأئمة الشيعة الكبار تتردد أصداؤها في كتابات بعض العلماء الشيعة المعاصرين . من ذلك قول كاشف الغطاء عن أبي بكر وعمر إنهما : «بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ، ولم يستأثروا ولم يستبدوا» ولذلك بايعهما عليٌّ ، وسالهما ، وأغضى عما كان يراه حقاً له»^(٣) وهذا حق بشهادة الثقة .

● هل شك أبو بكر في صحة بيعة نفسه ؟

وقد بلغ الغلو مداه في زعم أحدهم أن أبا بكر شك في صحة بيعة نفسه ! وهو يبني ذلك على أساس خبر زائف يقول إنه عندما حضرت المنية أبا بكر قال : «ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ : هل للأنصار حق في هذا الأمر؟» ويكذب هذا الخبر قول رسول الله ﷺ : «الناس تبع لقريش في الخير والشر» ، الذي كان معروفاً لأبي بكر وسائر الصحابة . وكذلك حديثه ﷺ : «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»^(٤) فكيف يجوز أن يشك صحابي في أن للأنصار حقاً في الخلافة وهو يحفظ هذين الحديثين ؟ لا يجوز طبعاً ! لكن الاستهانة

(١) منهاج أهل السنة / ٤ / ٢١٧ (٢) الشهر ستاني ؛ الملل والنحل ؛ ١ / ١٦٦

(٣) أصل الشيعة ، ص ١١٣

(٤) أخرجهما مسلم ، الخلافة في قريش ، ج ٢ ص ٢٠٠

بالحقائق تمييز حدوث أشياء سخيفة من هذا القبيل ! وفي حساباني أن حركة التقريب بين أهل السنة والشيعة في أيامنا هذه يجب أن تعيد النظر في تراث الخلاف بينهما وتعلن بلاموارية بطلان الأباطيل ، وتؤكد دون تردد أو حرج صدق الحقائق على الجانبين .

ومن المؤسف أن المؤلفين الشيعة المعاصرين ، ودور النشر الشيعة الحديثة لا تزال تتبنى آراء الغلاة القدامى . فأحدهم يستغل حقيقة مشاورة الصديق رضى الله عنه للصحابة ليؤسس على ذلك تفضيل علي - المرشد ، الهادي - علي : « من لا يُهتدى إلا به ! »^(١) والحق أن أبا بكر كان أعلم الصحابة بالإسلام ، لكنه كان حريصاً على الشورى ، والتوثق من صحة الأحكام والفتاوى ، وتلك منقبة للصديق رضى الله عنه ، لكن الناقد الشيعة يقلبها إلى منقصة !

وبجسارة ممقوتة ، ونزق أحمق ، يصف الشيرازي كبار الصحابة رضى الله عنهم بالنفاق ، لأنهم بايعوا أبا بكر وتركوا علي بن أبي طالب ! ويتمادي النزق حتى يقترب من تخوم النبوة المحمدية ، فيزعم : « أن النبي لم يحرك ساكناً ضد المنافقين ! »^(٢)

● ياللهول !!

إن النبي ﷺ حرص على ألا يقتل المنافقين ، كيلا يقال إن محمداً يقتل أصحابه . هذا حق لكن أحق منه أن النبي جاهد الكفار والمنافقين ، كما أمره الله تعالى بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحریم: ٩] فالمنافقون أصناف ، بعضهم أعلن إيمانه ، وتظاهر بحب النبي وتأييد المسلمين ، فاعتبرهم العرب من أصحاب الرسول . وهم الذين اجتنب النبي قتلهم . وبعض المنافقين أسلم ، ثم كفر ، وحارب النبي والمسلمين ، وهم الذين وصفهم الله تعالى في سورة المنافقين ، وقال ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]

(١) جواد كسار ؛ بحث في الإمامة ؛ ص ٣٢٠

(٢) آيات الولاية ؛ ص ٢٣٤

- فكيف يستجيز مسلم لنفسه أن يقول: «إن النبي لم يحرك ساكناً ضد المنافقين» وهو يزعم أنه من أتباع آل البيت النبوي الشريف!؟
● صفوة القول إذن... .

إن الانتقال من حكم النبوة إلى الخلافة فَجَّرَ بعض الخلافات بين علي بن أبي طالب ومعه بعض بنى هاشم وعدد من الصحابة من جهة ، وبين أبي بكر الصديق ومعه القطاع الأوسع من الأنصار والمهاجرين . ولكن سرعان ما اقترب الرجلان والفريقان وتعاوننا على البر والتقوى ، بحيث توارت الخلافات ، وبرزت وحدة الأمة ، وزالت أسباب الخلاف والشقاق ، لكي تندفع الدولة الإسلامية الناشئة إلى الأمام ، بعد أن تجاوزت الرجفة الهائلة التي ألمت بها يوم وفاة رسول الله ، وقمعت فتنة الأنبياء الكذبة ، والمرتدين ومانعي الزكاة .